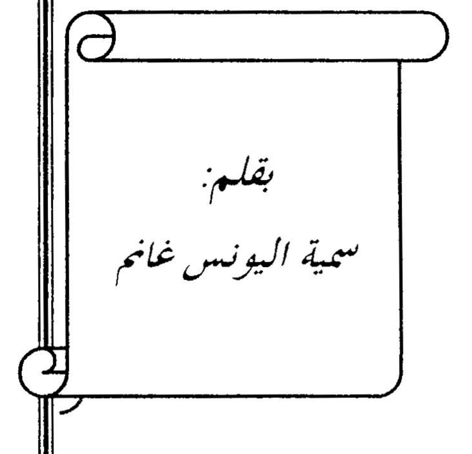
ألوان المدن في حياة الإنسان



دخلت (المدينة الملونة) برفقة د. حليم بركات من خلال كتابه المؤلف من (٥٤٠) صفحةً من الحجم الكبير الذي يحمل بين طِياته شرحاً لمرحلةٍ هامة من حياة الكاتب، وتحليلاً اجتماعياً سياسياً لأوضاع المنطقة العربية عامة، وسورية ولبنان خاصة، بتأليف من ثلاثة أجزاء موزعة كما يلي:

- الجزء الأول:

١- استكشاف المدينة من خلال مسارها في الربع الأخير من القرن العشرين وبداية قرن جديد.

- الجزء الثاني:

نقطة الذاكرة من رماد الفجيعة زمن الفتوة في منتصف القرن العشرين.

٢- جسر بين النهر والبحر.
٣- زمن اليمن.
٤- بدايات الصبوة والخيبة.
٥- زمن الانتهاء.
٦- رياح الوقت.
٧- زمن بين الفتوة والشباب.
٨- عشق في زمن الحرب وحرب في زمن العشق.
٩- زمن الدهشة ١٩٩٥-١٩٦٢

الجزء الثالث:

خاتمة المطاف، وبداية مطاف آخر. إطلالة على شرفة القرن ٢١

١٠- تقاسيم على أوتار الكلمات.

فالكاتب بأسلوبه السهل الممتنع يخلق بك من عالم الكلمة، يلخص مسيرة حياته الحافلة، ينقلك عبر الأثير إلى قريته الجميلة الوادعة المتربعة على كتف الجبل (الكفرون) لترى جمال الطبيعة الأخاذ.

فتكون تارة مع الأسرة التي فقدت الأدب وعاشت في رعاية الأم التي واجهت الحياة بمفردها، حملت أولادها بقلبها عندما أمسكت بأيديهم، وانتقلت لتعيش معهم في بيروت، وتعمل بإرادة وحكمة لتؤمن لهم حياة كريمة، وتارة أخرى مع المدينة التي رسمها بريشته الشفافة، ويشرح لك الأوضاع السياسية والاجتماعية التي مرت بها بلادنا خلا القرن العشرين والقرن الواحد والعشرين، فيحلل الأحداث الاجتماعية والسياسية في لبنان ومدى تفاعله مع الأحداث العربية والتي

تنعكس أحياناً على الأوضاع الداخلية، وتدخل الأحداث ببعضها فتعيش الحدث وتناقشه، وتنتقل كما يريد من أدب الحزب إلى أدب الحياة مع عواطف الشباب ومغامراتهم التي أعطت لوناً مختلفاً للحب العذري، كما أن جمال الأسلوب الأدبي والذي يتخلل حياته الوطنية ومن الصعب الإحاطة الكاملة بهذه الأحداث الهامة بورقات محدودة تتضمنها الأفكار المطلوبة والتي سأنقلها بأمانة لتكون هذه المسيرة الناجحة مصدر اهتمام للشباب الذي يعيش على هامش الحياة بعيداً عم روعة الأمل والإرادة. يقول د. حليم ص (١١٢) "اليتيم ليس من فقد أهله، وإنما من فقد الأمل في الحياة".

وهنا أردد معك هذا المثل: "إذا فقد المال فما فقدت شيئاً، وإذا فقدت الكرامة فقدت شيئاً ثميناً. أما إذا فقدت الإرادة فقد فقدت كل شيء".

مع التفاؤل الجيد تنقلب الأماكن في نظرة كيف انقلب فجأة مسكنه من ملجأ تحت الأرض إلى تلة في رأس شرفة تشرف على كل من حوله، وتشمخ كقصر تاريخي ص (١١٤) - ومع قول الشاعر:

شباب قنوع لا خير فيهم
وبورك من الشباب الطامحينا

الحياة الخاصة التي عاشها الكاتب بكل أبعادها ومع صراحته العفوية، سجل أحداثاً وأحداثاً أعطت الكاتب مسحة من التوسع الذي قد لا يهم القارئ. ولا يزيد في جمال الصورة والمعنى. فهو في أعماقه معجب بالمدينة بيروت. وبالوقت نفسه مدهوش بضبابيتها، ويبحث عن أسباب القلق في تاريخها وهي التي تسير في دواليب عجلة التقلب وينتقل ليتعانق مع المدينة المستسلمة لنور الشمس ص (١١٦) انتقل من المدينة السائرة على دواليب ومعانقة المدينة المستسلمة لنور الشمس، وهذا لا يتعارض مع روح الكاتب المرحة التي تبعث السعادة. من وجهة صبية جميلة.

كنا نجدها جميلة كشمس تشرق في الصباح بعد ليلة باردة لم تعرف الدفء. وكبدر قمرها في ظلمة من تلك الليالي الصعبة ص (١١٨) وهو يربط الأحداث التي تمر بالبلاد مع مواقف مميزة لشباب مخلص لوطنه فيصفه النقاش الدائر حول القصة والشيطان وحبل الكذب ليؤكد وجهة نظره التي أوصلتها إلى القائد الأجنبي، هذه الذكريات الجميلة العاطفية منها والوطنية.

يقف الكاتب بين الفصول والأجزاء الثالثة لترى نفسك مشدوداً لبعض الفصول كما يحتوي من أفكار هامة للمجتمع لدراسة تحليله لما سماه "الانتماء" الذي وصفه الكاتب بأنه ضرورة لكل مواطن، وهذا ما أمثله في قوله: هجرت صدفتي التي أحملها على ظهري وأضمن بها من مخاطر الحياة على الأغلب. أنني وجدت نفسي أخرج دون تردد إلى العالم الرحب للبحث عن معنى الحياة وما الهوية التي أتخذها وروح التحدي التي يناديها. متى أخرج من صدفتي وأنعم إلى حركة تعمل على تغيير الواقع الهذلي الذي نعيشه ونتكيف معه كالنعاج المدجنة.

لم يكن الصوت القوي الذي أطلقه في سبيل العمل للخوض في معارك الحياة والانفتاح على التجارب الإنسانية. أن ينتقل بقوله الإسهام الوطني الذي حل محل الانتداب الفرنسي ليعيدوا الأوضاع والنظام بل لتعزيز مصالحهم الشخصية على حساب الشعب والمجتمع... وعندما قرأ الكاتب الفكر السياسي لأنطون سعادة ص (٢٦٠) (أعجبني بشكل خاص أنه حلل السياسة في سياقها الاجتماعي. ولم يفصل بينها وبين الفلسفة والفن والعلم. نظر على الفنون إنها لغة النفس الإنسانية وتوصل إلى أن الغياب المبدع والفيلسوف هما اللذان لهما القدرة على الانتقالات من الزمان والمكان وتخطيط حياة جديدة ورسم هلل عليها.

ويتابع الكاتب شرحه لهذه الأفكار: "أعجبني أنه رفض أدب الكاتبة ودعا إلى أدب الحياة"

إلا أنه انتقد بكل شفافية (أنطون سعادة) تمنيت لو لم يستعمل (كلمة) (واسطة) واكتفى بأن الفن هو لغة النفس الإنسانية وتوقعها للجديد، وإن التقيت معه إن الأدب يجب أن يكون منارة وليس مجرد مرآة.

ثم دخل الحرب، إذ يقول: "ودخلت الصراع من خلال حركة اجتماعية سياسية" رغم علمه بخطوه العمل الحزبي، إلا أنه تجردها بكلمة يكتشف من خلالها الكثير من غرائب الحياة وتبحث في أسرارها وتشكل في القضايا العامة لا ترد القضايا الخاصة وعاد (د. حليم) إلى ذاته التي اتسمت

بالشفافية والصدق وعبر عن ذلك ص (٢٦٣) لم أكن أستسيغ الأدب الحزبي وأتمسك بالصدق والشفافية والإيحاء، وانفرد من الوعظ والإرشاد وهذا ما أصر عليه.

وتنقص في أعماقه عنفوان الشباب وذكرياته. إن الموت أرحم من الحياة الهزيلة، وذكرت أن من ولدوا من موتهم هم - أدونيس - جلجامش - أوريس - القمر

ويحاور ذاته بقوله: وتساءلت متى أعرف حدودي؟ وكيف أحاور وأتحمل النتائج؟ ومهما كانت أحلام الفتوة جامحة، واقتنعت أن الكاتب العظيم هو الذي يحرض مخيلتي على التحليق في أجواء فسيحة ونشأت لدي رغبة جامحة للحرية. وبالرغم من تساؤلاته لم يكن يعيش بعيداً عن الأحداث فهو يراقبها ويسجلها بكل أمانة ودقة متنقلا بين سورية ولبنان، ومع الانقلابات التي حدثت في سورية، وأشار إلى أن انقلاب حسني الزعيم، الذي وأثناء فترة حكمه سلمت السلطات السورية أنطون سعادة إلى السلطات اللبنانية وتم إعدامه في ١٩٤٩/٧/٨ وهنا ليسمح لي المؤلف بعرض بعض الأحداث الهامة في هذه الفترة التي من الأفضل أن يشير إليها الكاتب لأهميتها. فبعد تسلم حسني الزعيم الحكم:

كان أول انقلاب عسكري بعد الاستقلال ١٩٤٩/٣/٣٠ وقد دام ٩٠ يوما فقط.

ثم سامي الحناوي تسلم الحكم في سوريا ١٩٤٩/٨/١٤

هاشم الأتاسي رئاسة الجمهورية ١٩٤٩/٨/١٥ إلى ١٩٥١

جرت خلالها فترة انتخابات نيابية وثم جرى انقلاب عسكري وتسلم فوزي سلو رئيس دولة من ١٩٥٢/١٢/٣ لإلى ١٩٥٣/٧/١١

وقام أديب الشيشكلي من ١٩٥٣/٧/١١ ولغاية ١٩٥٤/٢/٢٥

وتسلم د. مأمون الكريري رئيس دولة بالوكالة من ١٩٥٤/٢/٢٦ إلى ١٩٥٤/٢/٢٨

ثم جرت انتخابات ديمقراطية انتخبت مجلس النواب هاشم الأتاسي رئيس دولة من شباط ١٩٥٤ إلى ١٩٥٤/٩/٦

ثم انتخبت (شكري القوتلي) رئيساً للدولة من ١٩٥٥/٩/٧ إلى ١٩٥٨/٢/٢٢

وفي هذه الفترة في ١٩٥٤/٤/٢٢ اغتيل عدنان المالكي، وكان من جراء ذلك الحادث أن أعلنت مكاتب الحزب السوري القومي وملاحقة المنتسبين إلى حيث انتقل الكاتب من فكرة إلى أخرى لما كتبه جبرا إبراهيم جبرا بمناسبة مرور خمسة أعوام على نكبة فلسطين التي وقعت في ١٥/أيار/١٩٤٨ واقتطف منها:

أيتها الأرض الخضراء أزهارها
كالنقوش على أثواب النساء

استوقفني فيها قوله: نحن نخترع أخبار عشقنا وملذاتنا، ولكن ما كل ما يفرق بين الحلم والوعي حتى رأينا البيوت تنسف فوق رؤوسنا.

وبين هذه الأحداث المتلاحقة والصاخبة التي حدثت في المنطقة، كان الكاتب د. حليم يقف مع صديقه (البحر) الذي يبث له مشاعره وأحاسيسه وقد كان البحر بطل أسراره هو الملاذ الحقيقي لآلهته فهو الصديق الوفي الذي يذهب إليه حاملا آهاته بين الفينة والأخرى ليبث له همومه ومشاكله الصامتة فيعانقها الموج كما عانقها هدير النهر في قريته (الكفرون) فيصف شعوره عندما يذهب إلى البحر ليراقب تموجاته واتساعه وألوانه، يبكي بحزن صامت فيهبط دمعه واحدة إلى وجهه وفمه ويشربها ويسقط ملحها من أعماقه التي لا تعرف الاطمئنان، ويعود ليصف تشابك البحر والموسيقى والشعر في مخيلته مواظب على الصعود إلى سطح مكتبة الجامعة حتى ساعات متأخرة من الليل "وأجلس طويلاً وهادئا في الظلمة أصغي للموسيقى والأمواج وكان للرياح وقع خاص في نفسي كالأوقات السكون فتعلمت وما زلت أحاول التعمق من معرفة لغة الريح والموج والمطر وحفيف أوراق الشجر" ص (٢٦٢)

لم يكن الأدب السياسي بكل أحداثه أقل أهمية من الأدب العاطفي وقصص جميلة وصور ملونة يرسمها خلال لقائه العابر يجتمع بابنه مبشر معروف يملك الكنيسة كأنها دكان. يقول اتفقنا أن نذهب إلى السينما ولم تفارق أيدينا في ظلمة المكان واحد منها وأخذني لدى انتهاء الفيلم إلى مكان سري مجاور للكنيسة وأنا متخيل أن

الشيطان دخل في صراع مع ملاك وتمكن التغلب عليه وقلت لها بصوت منخفض صدرك مرج عامر وسيشهد معركة حامية أكون فيها الفارس والضحية فصدرت ضحكة عالية مما اضطرني أن أغلق فمها بفمي وألتف حولها كالدالية ص (٢٦٧). هذه المغامرات العابرة من ناحية كانت مختلف حسب شخصيته الفعالة التي يلقاها، وقد تعرف على فتاة جميلة وجدية ومهذبة اسمها (رؤى) صديقة أحبته ص(٢٩٧) لقاءات مرحة للتغزل بالوجه والعينين والقوام والمواهب والصفاء، فكتب لها قبل سفرها إلى أمريكا في دفتر مذكراتها:

ستذكرني بك دائماً أمواج البحر
وأيام الفرح والحزن ورائحة العطر
غدا تسألني عنك الدروب
وتلة تلقت غيمة
كغدك وراء الأمواج
في حينٍ تعيش قيثارة بلا وتر

يا طائراً آخر في الأفق البعيد وغير حبك الجفن بالجفن يسعى لليالي السهر. كون الأحلام الضائعة ترحلين ترى متى تعودين؟...

الإنسان حزين؟ ضاعت شجرة عمري في الضباب، هل تذكرين ما مصير دفترك وحقول الكلمات؟

هذه المذكرات سجلت أيضاً في سجل حياته فكانت رؤى فيما بعد هي (شريكة حياته) وينقلك على النفس الهادئ الذي هبت الرياح في داخله وسافر شقيقه عادل للعمل في أمريكا، وبقي يتردد على الأم الحنون الحزينة لغياب ابنها.

ثم سافرت رؤى ولم يودعها. وذهب إلى البحر صديقه الوفي يرقب السفينة من بعيد ويستقبل الموج كما لو أنه وجهها، وهو يبحث عن عرائس البحر الساحرات في زمن الفتوة والشباب.

كانت مناقشته حادة وحامية في زمن ازدهار النشاط الثقافي والسياسي وتوتر الصراع الفكري مع الذات الآخر ونال شهادة البكالوريوس في علم الاجتماع وقرر متابعة الدراسة لنيل الدكتوراه وبدأ مهنة التعليم، وتزامنٍ هذا مع إعلان حكومة عبد الناصر دستوراً جديداً للبلاد ١٩٥٦ وأن مصر دولة عربية وأن شعبها جزء من الأمة العربية، فتعمقت شعبية عبد الناصر في لبنان ولكن بدأ التخوف من الجهات الأخرى. في ذلك الوقت سحبت الولايات المتحدة العرض لتمويل بناء مشروع السد العالي وأسوان. وأعلن في احتفال رسمي وشعبي أقيم في الإسكندرية تأميم قناة السويس مما أدى إلى العدوان الثلاثي على مصر. هاجمت إسرائيل سيناء وقصفت الطيارات البريطانية والفرنسية من مختلف الأقطار، ونسفت محطات النفط العراقي الذي يمر بأنابيبه من سوريا عام ١٩٥٦ ص(٣٢٠) وتجدر الإشارة إلى أن الرئيس كميل شمعون أعلن انضمام لبنان إلى حلف بغداد مع تركيا والعراق. وقبل مشروع أيزنهاور الذي حصل من الكونغرس على صلاحيات استخدام الجيش للدفاع على بلدان الشرق الأوسط ضد أي عدوان وإعطاء (٢٠٠ مليون دولار) لمساعدة البلدان الحليفة اقتصادياً وعسكرياً.

ومما زاد التأزم في سوريا ولبنان عدم انضمام مصر وسوريا لمبدأ أيزنهاور، وجاءت الوحدة ١٩٥٨ وجرى الاستفتاء في مصر وسوريا على دستور الوحدة بينهما فأعلن صوت العرب أن الموافقة جاءت بأكثرية ساحقة، وتمت الوحدة السورية المصرية ونشأت الجمهورية العربية المتحدة وكان أن هبطت طائرة جمال عبد الناصر في مطار دمشق. ألقى الرئيس (جمال) خطابه التاريخي أمام المجلس النيابي السوري بحضور الرئيس شكري القوتلي. وبعدها وقعا اتفاقية الوحدة وتصافحا وتعانقا. اقترب (القوتلي) من (عبد الناصر) وهمس في أذنه الآن وقد وقعنا الاتفاقية أريد أن تعرف ماذا تسلمت (تسلمت شعباً نصفه من السياسيين المحترمين، ربعه من القادة والزعماء، الربع الباقي لعملك من الرسل والأنبياء، هكذا يتصورون) هنيئا لك يا سيادة الرئيس وهذا ما تناقلته الأخبار فيما بعد. وتنادر به الناس حول محبة الشعب السوري للسياسة والفكر، ويحضرني الآن قول الحاج عندما سأله (عبد الملك بن مروان) عن بلاد الشام قال: سأل الشقاء العراق موطني، قالت قال الشقاء وأنا كذلك. قال الخصب الكنانة موطني، قال الذل وأنا كذلك. قالت الفتنة سورية موطني، قالت الفتنة وأنا كذلك.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه في نفس الفترة ذاتها ونفسها نشأ (اتحاد عربي مضاد) للوحدة بين سوريا ومصر بين العراق والأردن جواباً على الوحدة السورية المصرية.

انقسم لبنان إلى نصفين منذ اللحظات الأولى كما هو متوقع، نصف احتفل بالوحدة وزجت ممرات السيارات للتهنئة وملاقاة عبد الناصر وكمال جنبلاط. صائب سلام تردد لا لحلف بغداد لا للتمديد. والبعض الآخر كما نعرف عبر عن مخاوفه من انعكاسات الوحدة على الوضع الداخلي. (شمعون) و(مالك) وبدأ يتخوفون من رغبة مصر بالتمدد عربياً، وبعدها طلب من أحد مستشاريه أن يقرأ كتاب (فلسفة الثورة) فتحالف (الأردن والعراق والسعودية) واستنجد بأمريكا إقامة علاقة مع نوري السعيد (٣٧٢) وقال: لبنان في وضعه ونظامه يعرض على اللبناني أن يكون منتمياً إلى الطائفة أكثر مما هو لبناني أو عربي ص (٤٠٣) وحدث انقلاب ١٤/تموز/١٩٥٨ في العراق وأصابنا الذهول في لبنان لهول ما ورد في قصص عن سجن وشنق وارتكاب ما لا يمكن ذكره لشناعته أن صحف الأخبار لا بد أن يكون العهد القادم أكثر سوءاً من العهد البائد وهنا بالدرجة الأولى هي لبنان بعد أن طاح الانقلاب بالأسرة المالكة ونظام نوري السعيد حتى استدعى شمعون إلى قصر الرئاسة فوراً السفير الأميركي في لبنان وقدم طلباً رسمياً بإرسال مساعدات أميركية بموجب المادة ٥٠ من ميثاق الأمم المتحدة والاتفاقية بين البلدين في إطار مشروع أيزنهاور، وتأثرت سورية بالأحداث وكنا طلاباً في المرحلة الثانوية وقامت المظاهرات تنادي وتطلب عدم مروره في طرطوس والبلاد الثانية تربح أيزنهاور (باديوس) أو على طرفي طرطوس، وفي اليوم التالي أنزل الأسطول السادس قرب ساحل بيروت قوة لا تقل عن خمسة عشر ألف جندي مع سائر المعسكرات مما أثار عصب المعارضة اللبنانية التي طالبت باستقالة شمعون لدى استدعاء القوات الأميركية. وبعد هذا العرض السريع والموجز لأحداث تاريخية مرت بها المنطقة العربية ولا سيما لبنان. بعد قراءة بعض المقاطع التي تسرد حواراً معيناً حول الأفكار الهامة في المجتمع جرى حوار (نادر) مع (عادل) حول الحياة في أمريكا. وحوار نادر أيضاً مع أحد الرفاق حول الاستبداد ص (٤٢٢) رسالة بين (نادر) و (عادل) وأدونيس والذي يشرح فيها ما يلي: "أنت يا نادر لست سعيداً رغم إنجازاتك الكبيرة، ليست العلة في العالم أبداً. يا عزيزي العالم هو ما نريد، ومالكو الإرادة فقط يمكنهم أن يغيروا العالم والفرحون وحدهم يملكون الإرادة أنت تكتب قصصاً فيها عقد نفسية أكثر مما فيها من كلمات! العالم بخير يا عزيزي ومن طبيعة الحضارة أن القوى المتفائلة تقهر المتشائمة وأبلغ ما في الحياة الفرح. أيها التعساء.

حضارة أمريكا ليست لعبة ليست سطحية كما كنت أظن قبل قدومي إليها هي حضارة قائمة على شيء واحد اسمه (العمل) ص (٤٣٣) والعمل قائم على شيء اسمه التفاؤل غصباً عنك وعن أدونيس أريد أن أكذب على نفسي وأضحك وأضحك وأضحك على نفسي حتى أصدق أنني فرح بالفعل، وإلا السلام عليكم يا نادر وأنت يا أدونيس المستقبل ليس لنا أبداً أن لم نفرح في المستقبل كغيرنا وفي نقاش حول الأديان أخذ رأي (السميك) إن أصلاح المجتمع لا يكون بالدين بل بالعلم الذي حرر الإنسان من الجهل والتعصب والرؤية الفنية المهيمنة على العقول والنفوس وتعذر ما ينشر العلم فنهض المجتمعات وتتقدم"

سرني جداً أن أسمع مثل هذا الكلام المتفائل كما أن إساءة (استعمال الدين) ما نتج عنها من نكبات من تاريخ البشرية ولكنني بعد التمعن بما قال (شبلي الشميل) وجدني أسأل ماذا يمنع الدين أساؤوا فهم الدين من إساءة استعمال العلم أيضاً ص (٤٥٣) وفي رسالة أخرى ص (٤٥٨) نحن مهاجمون مثل كل شيء يقتحم قلاع التأكيد كالرماح ويفترض دائماً أننا قد نكون على خطأ. إننا في حوار ذاتي مع أنفسنا نريد أو نلقى التعصب للعائلة للقبيلة والعشيرة.

هذه الباقة من الحوار المستمر حول أهمية التفاؤل والإرادة والعلم والعقل والعودة إلى الذات للدراسة كبنية التقاليد وكيف نتبعها في أعماقنا ونداوي الأمراض الاجتماعية التي هي السبب. وأخيراً كما شعرت بحاجة إلى إقفال الكتاب وعدم التقليب في صفحاته لأنني لا أزال أفكر بمضمونه

بعد أن استمتعت من الآراء القيمة والسيرة الذاتية التي هي برنامج عمل لأردد مع الكاتب لما قال الشاعر:

شطرت قلبي شطر للمتيم على عهد الوفاء وشطراً للذين نزحوا

وبدأت الإذاعات العربية في مصر إذاعة صوت العرب في القاهيرة. وصفت شمعون من صف نوري السعيد والملك حسين المهتمين بحالة المصالح العربية، لم يعلن لبنان قطع العلاقات بينها وبين بريطانيا وفرنسا كما فعلت بقية الدول والذي عزل لبنان عن العالم العربي ما أدى إلى انقسام المجتمع بين مؤيد ومنازع وتناقلت الأخبار الاغتيالات السياسية ص (٥٤٣) لجزء من مطاردة الحزب السوري القومي، وتم اعتقال الكثير لمجرد انتمائهم للحزب وقد كانت ردة الفعل على تسليم أنطون سعادة إلى السلطات اللبنانية لإعدامه، أنه تم انقلاب عسكري بعد شهر ونصف من ذلك التاريخ. اللواء سامي الحناوي وقامت قوة عسكرية باعتقال حسني الزعيم وتم إعدامه مع محسن البرازي (١٩٤٨) ص (٣٢٨)

وكان نشاطه السياسي من خلال الحرب والتزامه مع الرفاق بمناقشة القضايا العربية والاجتماعية داخل لبنان وخارجه. رغم الأحداث الكبيرة والكثيرة والمتنوعة فإن الكاتب لم يشير من خلال الأحداث عن الانفعال ولا الثامن من آذار والتحول الاجتماعي في سوريا وجعل ترك هذا أثر على لبنان.

واكتفى بالإشارة إلى الوحدة وليس على فالأحداث التي تتعرض لها سورية من خلال أحداث لبنان والحرب الأهلية وقال: دخلت في حركة فكرية وليس مجنداً في جيش ص (٤٥٨) وظلت صداقاته عميقة مع الرفاق احتفظ بها إلى النهاية، وبعد هذه الصدمة العاطفية لم تتوقف اهتماماته في السياسة. وفي لقاء مع أدونيس وخالدة قال إنا نستطيع أن نتحدث حتى الصباح عن الرمل والجفاف. عن الأسرار، عن سراب اسمه الحرية، عن خزانة اسمها الإنسان، وعن مومياء اسمها الدولة لا قيمة للكتابة أن توجهنا بحرارة إلى إنسان معين وليس إلى جمهور لا يقرأ وبعد هذا كله عاد مجدداً إلى قلبه ليتزوج المؤلف من صديقته (رؤى) وسافر إلى أمريكا للالتحاق بعمل هناك. ويعيش في واشنطن عند والدته ويعمل في إحدى جامعاتها والآن سأقول لك يا أستاذ حليم دعني أهمس في أذنك (رب ضارة نافعة) وهذا القرار الحزبي الذي أبعدك عن حب كان لمصلحتك بأن جدد لقاءك الروحي مع (رؤى) هذه السيدة الفاضلة الحكيمة رفيقة درب متميزة بحضورها الأنثوي الرقيق وشخصيتها اللطيفة الجذابة التي لونت حياتك بأجمل الألوان.

قد تكون رؤية المستقبل الغامض الذي جاهدت والدتك من أجله وانتهت حياتها الجسدية ودفنت في أمريكا ليرفرف دعاؤها الدائم في سماء حياتك تبارك نجاحك الأدبي والفكري والذي حلل الأوضاع الاجتماعية. واعترض على الاستبداد وهاجم الخلل الداخلي وكما قلت الزلزال الاجتماعي، وبدأت تدخل إلى الحقيقة عندما عدت إلى بيروت بعد حصارها أثناء الحرب الأهلية الثانية ١٩٧٥ إلى ١٩٩٠ وسجل قلمك المرهق خواطر وأنت على أبواب القرن الواحد والعشرين تقاسيم على أوتار الكلمات.

ومع إطلالة عام ٢٠٠١ من شرفة بداية القرن الواحد والعشرين على بيروت كما كانت في منتصف القرن الماضي تذكرت ما فاتني من بوابة الدمار عدت إلى حب بدأت بطيئاً ودخلت دهاليزه كما كان إبان الفتوة والشباب وطغت مختلف تجارب حياتنا كي أستعيد تجاربي الخاصة والعامة. وها أنا أخرج على الطريق الآخر بعد حوالي أربعة عقود من الزمن لأجد نفسي تائهاً من زمن إعادة البناء وقد تمر قبل أن أعرف موقعي من الأشياء ومن خارجه الأسماء والأحداث المركبة من نهاية قرن وبداية قرن آخر.

وهنا يقول: هل يكفي أن يلوم الإنسان نفسه وكل مشكلاته بنفسه أم أننا نعيش في عالم تتداخل فيه شؤون الداخل والخارج حتى لا يمكن أن يفصل بينهما ص (٤٩٣)

ومع الأحداث الأخيرة في القرن (٢١) قال جبران تويني شاهدت زحفاً شعبياً إلى الفاتيكان لمشاركة قداسته (قداس أقدس قداس لإعلان قداسة الأب رفقة) اللبناني الجنسية وزحفاً شعبياً

آخر إلى القرداحة لتعزية لوفاة الرئيس (حافظ الأسد)

ومع قصيدة نزار قباني ص (٥٢٦) التي نشرت في مجلة الآداب ١٩٥٧ وكأنها النهاية قرن مصوراً ما يحدث:

من بلد في الشرق الأوسط
أسكنه يدعى سورية
يتسلق خارطة الدنيا
كالنخلة كالعش الأخضر
من هذه الأرض أناديك
وأنادي فيك الإنسانا
وأنا لا أكره إنساناً
وأنا لا أكره أمريكا
كلن رئيسك في البيت الأبيض
ما زال يحاول تصويري
للدنيا باللون الأحمر
إنني إنساناً لا أكثر
يكون فلسفة الألوان
يقول عيب الإنسان للإنسان

سيقويه زهور في الربيع ورطوبة حارة في الصيف يهرب منها الناس إلى حيث لا يعرفون. وبقدر ما أبعد عن سياسة الحكومة انجذب إلى نهر البوكمال وشلالاته وصخوره ويطيب لي المشي على دروب الفتاة وأقدر الجامعات وأضم بهدوء لمنزلها. ومع هذا التساؤل تحييك فإن بيتك في قلوب المحبين والمحبين بأدبك فقد دخلت أبواب الحياة إلى مجاهل النفس وحللت المشاكل والرغبات بأدق تفاصيلها فكتبت الأدب الاجتماعي والتحليل السياسي لمرحلة هامة من تاريخ بلادنا. عشت أحداثها بعمق وتناقلت أخبارها أينما كنت وكيفما حللت فحملت وطنك في غربتك الجسدية وخلقت من عالم الإخلاص والوطنية ولم تقلع جذورك من أرضك وحلقت بجوانح الإرادة في عالم بعيد مترامي الأطراف فكانت الأغصان الطويلة تمتد بالخضرة.

أقول هذا ما اقله نزار قباني في أيزنهاور من منتصف القرن العشرين ماذا يمكن أن يقال لجورج بوش الابن بعد نصف قرن؟ ماذا يمكن أن يقول إنني ترجمت القصيدة ومدها على صحف من فضة. ويتساءل الكاتب بعد رحلته الطويلة مع القرن العشرين والقرن الواحد والعشرين ص (٥٣٠) لم أعرف أين منزلي؟ هل هو ما أملكه من واشنطن أم ما لم نعد نملكه في بيروت والكفرون وهو بوفائه للمكان والأشخاص والأهل والأصدقاء يصف واشنطن بحنان وإعجاب وهي المدينة التي احتضنه واستشهد عمله وأدبه فيها ودرَّس بجامعاتها (جامعة جورج تاون) لمدة ٢٠ عاماً يقول: بعد ما يزيد على ربع قرن قضيتها في واشنطن رسخ في ذهني أنها مهرجان ألوان والخضرة والأزهار.

فأهلاً بك في وطنك ومسقط رأسك عزيزاً كريماً لنقول دائماً:

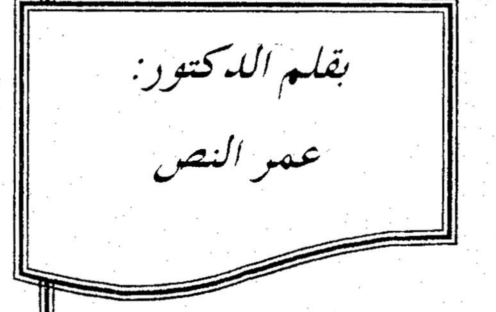
هكـــذا هكـــذا وإلا فــلا لا
ليس كل الرجال يدعى الرجال

وينتهي الكاتب مع الأحداث الهامة التي سجلها ليختم صفحاته... عرفت جيداً أن بيروت ليست المدينة التي تنام باكراً مع العصافير، وأن لياليها من أجمل الليالي. وحين واجهت الدمار الشعبي أثر الحرب الأهلية الثانية انهارت في نفسي الأساطير التي حكيت حول لبنان ما قصدت بأنه كان يقوم على أساس واجهة لم تصمد عندما عصفت بها رياح الأزمات العاتية.

وها قد مضى ربع قرن ومازالت آثار الحرب الأهلية المجنونة تلك تتناقلها الناس وأزمنة وذاكرة هذا الوطن.

وبعد هذا العرض السريع والموجز لما تضمنه الكتاب من أحداث هامة ورسم سجل حياته بريشة الفنان الذي لون المدينة من خلال منظاره. فتارة مزدهرة وتارة أخرى محطمة ومهدمة، كما أنه لم يشرح بعض الأحداث الهامة ولم ترد في صفحاته الخمسمائة أي ذكر لأحداث الانفصال في ١٩٦١/٩/٢٨ ولم يذكر أحداث ثورة آذار ١٩٦٣/٣/٨ كما أنه لم يذكر الحركة التصحيحية ١٩٧٠ التي قادها الرئيس الراحل حافظ الأسد.

إليك.. أيتها الملكة



-١-

ليكن لك الاسم الذي تشائينه. أما أنا فلن أسميك أبداً..

أيتها الملكة! هل سمعت بنخلة تحمل اسماً؟ هل سمعت بقطرة من المطر تحمل اسماً؟

لقد محوت من دفاتري كل الحروف حتى لا يكون هنالك جدار يفصل ما بيني وبينك.. حتى لا يكون هناك طريق يصل بي إلى الأزمنة التي ألغيتها..

إني أعلم أن غيابك يسلمني إلى العدم! ولكنه عدم تندمج فيه روحانا فتنطلقان إلى الشمس حيث تحترقان..

كلا أيتها الملكة..

لن أسميك أبداً. أخاف إذا منحتك اسماً أن أفقدك..

-٢-

أعلم أنك تملكينني. أعلم أنك تملكين الزوارق التي أحلم أن أبحر عليها فلماذا تحتجبين عن عيني عندما أحتاج إليك للخروج من الظلمة؟

لتنفذ مشيئتك أيتها الملكة.

لقد طردت من صدري كل رغبة في أن افرّ يوماً من هذه الأغلال التي غللتني بها. ولكن أين أنت؟ لا. لا تخافي. فأنا لا أطلب منك أن تنزعي هذه الغلالة عن وجهك الذي لم يعرفه أحد قبلي.

إن غيابك يؤلمني ولكن وجودك معي يقلقني حتى الموت..

إني أفهم لماذا تدهشين عند سماع صوتي فالتفّي بصمتك كما تلتفّ الغابة بعباءة من ليل.

أتراني عرفتك كما زعمت أنني فعلت؟ إنني أعلم أنني لا أكون إلاّ عندما تكونين. ولكن قولي هل كتب عليّ أن أظلَّ على الشاطئ انتظر الزوارق التي قد لا تأتي أبداً؟

ربما اندفعت موجة غاضبة فاستلبت أجمل ما في يديّ من زاد..

فكيف أسافر عندما لا يكون في يديّ غير اليأس؟

-٣-

كالصاعقة أضأت عالمي. كالصاعقة جئت محملة بالنور والدخان، بالحمم التي لم يهدأ لهيبها.. كالصاعقة بعثرت الغمائم التي كانت تسدّ آفاقي..

كالصاعقة دككت الصخور التي نصبتها حول منزلي لنمنع عنه الريح..

أيتها الظافرة التي جاءت بالشمس شاهدة على جبروتها... ماذا أقول للبحر الذي ما يزال ينتظر أن ترحل عليه زوارقي؟

لقد تركت للأمل أن يجد مكاناً في صدري يلجأ إليه. وها هي ذي المنائر تستح أضواءها على الموج لتغري الطيور المهاجره بالعودة إليها.

إن النجم ليتسكع في متاهات ليلي فهل أدلّه على البشائر التي تركتها على حناجر الفجر؟

لقد جعلتني نارك أولد مرة ثانية فلم يبق للغابات عذر في ألا تصح ثمارها.

أحرقيني أيتها الصاعقة حتى تنضج الكلمات التي أجهد في قولها..

يا ملكة البحار المهاجرة. يا ملكتي. لقد اكتشفت الجبال المظلمة التي تقف في طريقي.

-٤-

تأتي الفصول ثم تنقضي وأنت باقية في ذاكرتها لقاء الماء في رحم الأرض. ترى ما الذي كنت أنتظر أن أرى في عينيك وأنت قادمة إليّ؟ ألم يكن البحر يحصي السنين التي أنفقها وهو يصارع الصخر بحثاً عن مكان في صدرك الثريّ؟

ألم تكن الشمس تمرغ أهدابها على جسدك النقي حتى لا تهرب أحلامها منها؟

لقد تجمد الزمان أيتها الملكة في ذلك الكهف المظلم الذي أتيت منه..

لقد تجمدت الأحلام الواسعة التي كانت تبعثرها الريح في كل مكان.

وهأنذا أمسك اليوم بأصابعي تلك الخيوط التي لا أعرف نهاية لها..

أتراني أدرك أن اليوم الأول للأرض قد شهدك تولدين كما تولد النجمة في قلب الليل؟

إن على يديك المترفتين أنهاراً تنحدر مياهها من أزل قديم لتنصب في أبد لم تره الأرض إلاّ في خيالات أحلامها.

لقد انقطعت الأمطار منذ قرون لا حصر لها. وهأنذا قد نسيت كل الأسماء التي كنت أطلقها في الريح. فاستعدي أيتها الملكة للرحيل معي.

إن زوارقي تتأهب للخروج إلى البحر الذي لم يولد بعد.

-٥-

ليس عبثاً أن بيادري ما تزال تنتظر اليد التي تعرف كيف تقطف ثمارها. لقد تعلمت منذ أحببتك أن السيول قد تكسر غصناً أو غصنين

أو عشرين غصناً ولكنها لا تستطيع أن تجرف الغابة كلها.

كم مرة جاءت الرياح لتقتلع أشجاري من جذورها ولكنها عادت مثقلة بالطيوب التي لم تجد ملجأ إلاّ في أرضي العطشى.

أنصتي! إن أنفاساً تتصاعد من أغوار الأرض ثم تنتقل من زهرة إلى زهرة لينشر الغابة بالمواسم التي حان أوان قدومها.

وعندما تفتحين نافذتك ذات ليل ستطالعين النجوم تتدافع في السماء لتنشر على جدائلك هباتها فسأقف عند بابك أحمل هباتي أنا أيضاً وسأسأل الشمس أن تتأخر يوماً أو يومين حتى أتم الطقوس التي بدأتها.

-٦-

أفيق من نومي. أحاول أن أطرد عن عينيَّ بقية حلم ما تزال تحاصرني أيتها الغائبة الحاضرة. هذي يد بيضاء تمتد من الظلمة فتطرق بابي.

الأخشاب المسكينة تهتز وترتعد ثم تصبح جمراً. وفجأة تندلع النار في حقلي. في سريري. في يدي. وعند ذلك أراك تولدين منها كزنبقة حمراء. كنافورة دم. أيتها الغائبة عن بصري. أيتها الحاضرة في دمي. لماذا أدعك ترحلين؟

-٧-

أحلم بك ملكة في مدينة لا ناس فيها. أحلم بك ملكة تتصارع الأشجار لتصبح تاجاً يزين رأسها وتتزاحم الجذور لتجد طريقها إلى عروقها الظمأى.

أين أجدك أيتها الملكة وقد أغلقت المدينة أبوابها ونزعت أسماء الشوارع من ذاكرتها؟ لقد خرجت من بيتي لأبحث عنك وفجأة هطلت الأمطار وغارت الأرض تحت قدمي. ولكن عينيَّ ظلتا تبحثان في الظلمة عن عرش تجلس عليه ملكة لا تاريخ لها.

-٨-

اهربي مني قبل أن أقترب.

أنا قادم من غربتي لأحرق العالم الذي يرفضني. لقد عشت اللحظة التي انفصل فيها جسدي عن التراب ليصبح جمرة.

إنّ الظل الذي ينتظر عند الهاوية هو ظلّي. وإن اليدين اللتين تحملان ذلك المصباح الصدئ هما يداي إنني أقترب أيتها الملكة. إنّ السياج الذي يحيط بقصرك البازخ أخذ يتداعى.وإن المخادع التي اعتدت أن تلجأي إليها تكاد تخرج من النوافذ لتستقبل فجري. فاهربي مني، فهنالك طائر من دم ينقر باب الليل.

-٩-

سدّت الطرق إلى البحر. فاقنعي بهذه المملكة التي تشيدها لك الكلمات. لقد هزمتك بكبريائي فخرجت منك شجرة تتصل أوراقها بالقمر..

أما أنا فسألحق بالريح المسافرة.. بالطيب الذي لا يعرف مكاناً يلجأ إليه.

سدّت الطريق إلى البحر. وهأنذا أمدد جسدي على الرماد الذي يحترق من الشوق. فاقنعي بهذه المملكة التي تشيدها لك الكلمات.. أفلا يكفيك أن أكون الحارس الذي يغلق أبوابها بعد أن تدخلي إليها؟




سيد الشام

شعر: حسان الصاري - وزير دولة

لا تـنحنِ حتـى ولـو سـدوا المـدى
أنـتَ الرجـاء وكلُهـم ضـاعوا سُـدى

لا تـنحنِ وارفـع جبينَـكَ عاليـاً
فالكـلُ أخبـارٌ وأنـتَ المُبتـدا

مـا هـمٌ إن حشـدوا عليـكَ وألّبـوا
ورمـوا السـهام وأشـرعوا حتـى الهُـدى

فالشـام رمـحُ إن هـززتَ قناتَهـا
دارت علـى البـاغين دائِـرةُ الـرَدى

يـا ابـن الـذي إن قـال كـان مُصـدَقاً
وحديثُـه يبقـى الصـحيحَ المُسـندا

إرثٌ مـن الأمجـادِ أنـتَ ضَـمانُهُ
مـن ذا يلـومُ إذا سِـواكَ تـرددا

قـالوا الشـآمُ فقلـتُ حصـنُ كرامـةٍ
بالحـب شَـيدها الأمـين وشـيدا

لـن يـنقُم البـاغون هُـزّ جـدارها
حتـى ولـو صـبوا السـعير الموقـدا

فـالله لـن يرضـى وجـل جلالـه
أن يـترك الأسـد المـرابط مفـردا




المرأة السورية على موعد مسبق مع أدوار البطولة

بقلم:

هلا الريشان راجحة

على مسرح الحياة الكبير مكاناً والعميق زماناً، لعبت النساء السوريات أدوار البطولة المطلقة في أكثر من حقبة زمنية وبقيت لنا تجاربهن وقصصهن الخالدة رمزاً لكل امرأة سورية.

فإذا كانت (سميراميس)هي جدة العراقيات، و(كليوبترا) هي جدة المصريات، و(بلقيس) هي جدة اليمنيات... فإن جدات النساء السوريات هن (أورنينا) و(عناة) و(زنوبيا).. اللاتي ترسخت أسماؤهن في ذاكرة التاريخ.

فكانت (أورنينا) أول مغنية كشفت عنها البحوث... تبث الأمل والتفاؤل في نفوس كل من سمعها..

أما (عناة)... الاسم السوري لعشتار التي أمطرت خيراً وخصباً وجمالا على أرض سورية..

وبالانتقال من قصص الأساطير إلى أخرى واقعية تشبه قصص الأساطير، قصة (زنوبيا) الملكة العربية التي جمعت بين سحر الأنوثة وصلابة الرجولة، وحكمت إمبراطورية عظيمة امتدت لتشمل مناطق واسعة من الشرق الأوسط.. وأثبتت حكمتها وشجاعتها وقوتها...

فهذه النسوة وغيرهن كثيرات ما تزال دماؤهن تجري في عروق النساء السوريات اليوم..

ومن خلالهن انبعثت روح الأسطورة في جسد كل امرأة سورية...

إلا أن هذا لا يعني أن النساء السوريات لم يأفل نجمهن ولم يخبُ ضياؤهن في فترات معينة، ليعود ويشع في آونة أخرى. وذلك مرهون بالظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي كانت تسيطر على المجتمع في تلك الفترات...

إلا أنه لا يمكن لأحد أيضاً أن ينكر دورها ووجودها.. حتى في المراحل التي ندر

فيها بروز الأسماء الأنثوية... فإنها لم تتوقف يوماً عن العطاء والعمل حتى في الظل أو وراء الكواليس...

فإذا كانت الظروف القاسية والقاهرة التي تعرضت لها المنطقة كلها من حروب وتقسيمات، قد أثرت سلباً على المرأة العربية عامة والسورية خاصة... وخلفت مجموعة عادات وقيم تسيء لمكانة المرأة ونظرة المجتمع لها... إلا أنها لم تتوقف يوماً عن العطاء، فكل رجل سطع نجمه في سماء الوطن، سهرت على تنشئته وتربيته أم أو جدة أو أخت وساندته زوجة أو حبيبة ليصل إلى ما وصل إليه...

فلا ننسى البطون التي حملت وأنجبت للوطن رجالاً والعيون التي سهرت على تنشئتهم وتربيتهم حتى برزت أسماؤهم وظهرت أعمالهم في مختلف مجالات الحياة الفكرية والأدبية والسياسية والاجتماعية وفي الصناعة والتجارة... وما أكثر الأسماء وما أعظمها...

وشيئاً فشيئاً وجدت المرأة السورية نفسها سجينة معتقدات وأفكار بالية ترسخت حتى في عقل المرأة ذاتها، وأصبح يُنظر للمرأة العاملة نظرة خاطئة... وصلت في بعض الأوقات إلى نظرة احتقار على اعتبار أنه (ما في حدا يضبها)...

ولا شيء يبرر عمل المرأة سوى حاجتها للمال إن كانت أرملة أو لا معيل لها، فالعمل لنساء الطبقة الفقيرة وربما المتوسطة أما نساء الطبقة الثرية فلسن بحاجة للعمل من أجل كسب المال... لأن الرجل هو من عليه أن يهتم بشأن كسب المال... وما على المرأة سوى أن تهتم بشؤون بيتها وأولادها ورعايتهم...

ولا يخفى على أحد أن هذه الفكرة التقليدية سيطرت ليس فقط على المجتمع السوري والعربي.. بل على مجتمعات كثيرة، حتى بلدان أوروبا ودول الغرب لم تسلم من هذه الأفكار التي ما زلنا حتى اليوم نعاني من مشكلة وجودها... حتى وإن تضاءلت هذه المشكلة أو اختفت في بعض الأحيان...

وبقي العمل حكراً على الرجال لفترة طويلة إلى أن بدأ الوعي لأهمية عمل المرأة يتسرب إلى المجتمع ككل.. وإلى المرأة السورية خاصة.. وعادت روح الأسطورة الغافية للنهوض بها... وظهرت حركات تحرر المرأة ومساواتها مع الرجل على كافة الأصعدة.

بعد أن أيقنت هذه المرأة أنها قادرة على العمل ليس فقط في المنزل بل في أي مجال من مجالات الحياة...

فالمرأة ليست نوعاً أو جنساً أدنى من الرجل بل هي مساوية له ويتكامل معها لبقاء واستمرار الجنس البشري وأي خلل في هذه المعادلة يؤدي إلى خلل في وظائف الحياة كافة...

ما يجب أن يدركه المجتمع... رجالاً ونساءً.. أن تساوي المرأة بالرجل لا يعني التشبه به، ولا يلغي حقيقة اختلافهما... فكل منهما لديه وظائف محددة لا تتعارض مع وظائف غيره بل تتكامل معها من أجل مجتمع أفضل..

كما أن صراع المرأة في معركة تحررها هو صراع ضد عوامل الجهل والتأخر وكل العوائق التي من شأنها تأخير تقدمها وتطورها... وليس صراعاً مع الرجل كما يتوهم البعض بل على العكس فعلى المرأة أن تتخذ من الرجل داعماً أساسياً لها لأنهما وكما قلنا يكملان بعضهما ولا غنى لأحدهما عن الآخر...

كما أ... كن للرجل أو للمجتمع إنكار دور المرأة ... ـها خارج نطاق بيتها

وأسرتها فبعيداً عن المدينة وفي الريف عملت المرأة إلى جانب زوجها في أصعب الأعمال وأثبتت جدارتها بل وتفوقها في بعض الأحيان.. فصورة المرأة الريفية التي تعمل في الحقل، تزرع وتحصد وتقطف، لا تفارق أذهاننا. كما أنها أتقنت الأعمال الزراعية والصناعات المرتبطة بها. إضافة لتربية الحيوانات والماشية والدواجن... كما أن معظم الصناعات التقليدية ما كانت لتقوم لولا المرأة... هذا مع الحفاظ على الدور الأهم في حياتها ألا وهو تربية الأطفال ورعايتهم مع الاهتمام بكل ما يحتاجه المنزل من طبخ وتنظيف وغسل وغيرها من أعمال المنزل اللامنتهية...

وإن كان الرجل في الماضي قد ساهم عمداً أو سهواً مع العوامل السلبية في تأخر المرأة وتراجعها فإنه اليوم... ومع استمرار وجود قسم من الرجال ممن يعيشون بعقلية بالية تحكمهم الأفكار الموروثة التي تقلل من شأن المرأة... إلا أنه هناك قسماً آخر قد يكون أقل عدداً ولكنه أكثر نفوذاً وقوة ويزداد يوماً بعد يوم... يدرك أهمية المرأة ومساواتها بالرجل من أجل مجتمع أفضل خالٍ من الأمراض والآفات الاجتماعية.. ويدعم مسيرة تحررها....

وقد بدأت حركات التحرر منذ أوائل القرن الماضي على أيدي نسوة ناضلن بكل جرأة وقوة وأسسن جمعيات لمساندة المرأة بكل ظروف حياتها وأبرز تلك الأسماء في تلك الفترة (ماري العجمي.. نازك العابد.. سامية المدرس.. عادلة بيهم الجزائري.. وردة اليازجي.. مريانا المراش..) وغيرهن كثيرات، كما صدرت المجلات النسائية في سورية...

ولم تعد المرأة سجينة قدرها ونصيبها وحبيسة منزلها بانتظار (السترة)والزواج... ولم تعد تنتظر من يعيلها/ بل خرجت لتعمل وتعيل نفسها وأحياناً أسرتها. وشيئاً فشيئاً ترسخت مقولة (الشغل مو عيب)...

لا يوجد عمل لا تستطيع المرأة القيام به أي أنه لا توجد أعمال تخص الإناث وأخرى تخص الذكور... بل إن مشاركة المرأة شملت كافة الأصعدة.. فبالإضافة للصناعة والتجارة والزراعة كان للمرأة دور بارز في السياسة.. فكم من النساء شاركن في عملية استقلال سورية عن تركيا أولاً وعن الانتداب الفرنسي ثانياً حتى حصلت سوريا على استقلالها.. وربما كان عدد هؤلاء النساء أكثر بكثير لو كانت الظروف أفضل/ فحتى في ظل الظروف القاهرة التي تعرضت لها النساء.. فلم تغب عن الساحة نهائياً بل فرضت وجودها وفعاليتها...

ومع ولادة الحركة التصحيحية في عهد القائد الخالد (حافظ الأسد) بدأت المرأة تحصل على حقوقها وأخذت تتحرر من أهم عائق في طريق تحريرها ألا وهو الجهل عن طريق التعليم ومحو الأمية وعملت على تحسين وضعها وصورتها في المجتمع...

واليوم أنعم الله على الشعب السوري عامة والمرأة السورية خاصة، بقائد حكيم أنصف المرأة ودعم تقدمها إيماناً منه بأهمية دور وحجم المرأة في المجتمع وأن عدم الاستفادة من طاقاتها وقدراتها سيكون هدرا كبيراً وخسارة للمجتمع كاملاً، فبحكمة السيد الرئيس الكبيرة وبصيرته النافذة أولى المرأة أهمية كبيرة فازدادت ثقتها بنفسها مما دفعها للسعي والحصول على دورها ومكانها الطبيعي في المجتمع...

فتولت المرأة أعلى منصب تصل إليه المرأة في الوطن العربي وهو منصب نائب رئيس الجمهورية من خلال السيدة الدكتورة (نجاح العطار)...

كما عينت السيدة الأديبة (كوليت الخوري) مستشارة السيد الرئيس للشؤون الأدبية...

وتم تعيين وزيرة للشؤون الاجتماعية والعمل السيدة الدكتورة (ديالا الحاج عارف)...

ووزيرة للمغتربين السيدة الدكتورة (بثينة شعبان)...

إضافة إلى تعيين معاونة لوزير الصحة... ومعاونة لوزير التموين...

فبلغت نسبة مديرات الدوائر ورئيسات الأقسام في وزارات الدولة (٢٠%)...

وفي القضاء وصلت نسبة النساء إلى (١٣%)... وحصلت المرأة على أعلى مركز في القضاء وهو مركز نائب عام للجمهورية العربية السورية...

وتشكل المرأة اليوم نسبة (١٠%) من أصحاب الأعمال في الصناعة والتجارة.. كما تشكلت لجان لسيدات الأعمال في غرف التجارة والصناعة في كافة أنحاء القطر...

فنجد المرأة السورية تقف جنباً إلى جنب مع الرجل تساهم في ازدهار الوطن وإعلاء شأنه وقدره بين الدول كافة... إضافة لدورها السامي في إنجاب وتربية الأجيال القادمة لتكمل مسيرة التطوير والتحديث...

ولم تقتصر مساندة السيد الرئيس للمرأة في إعطائها مناصب وأعمالاً إلى جانب الرجل... بل تعدتها بإقرار مجموعة من القرارات والصيغ القانونية والتشريعية لحماية حقوق المرأة والأسرة... وأهمها:

توريث راتب المرأة التقاعدي لورثتها الشرعيين... زيادة إجازة الأمومة... زيادة التعويض العائلي... التصديق على الانضمام لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة... ورفع سن الحضانة للغلام حتى سن (١٣) والفتاة إلى (١٥)...

وغيرها الكثير من القوانين التي تهدف لحماية ودعم المرأة والأسرة...

ولم تقل مساندة ودعم السيدة الأولى للمرأة والأسرة عن دعم السيد الرئيس.. فقد وضعت هدفاً أساسياً في تمكين المرأة وتحسين وضعها وتعزيز قدراتها..

وعملت بنشاط كبير على حضور كل المؤتمرات والمعارض والندوات المحلية والعالمية التي تهدف للارتقاء بالمرأة العربية عامة والسورية خاصة ودعمها في جميع الميادين...

كما سعت لتتواجد في كل الأعمال والمناسبات والاحتفالات التي أقيمت لتؤكد على قولها (ليكون لكل فرد صوتاً يسمع)...

كما شاركت في كثير من المناسبات برفقة عائلتها وأطفالها، لدعم كل الأطفال وذوي الاحتياجات الخاصة ومساندتهم...

وحرصت دوماً على تهنئة المرأة في عيدها وتكريمها هي وأطفالها... حتى الأم البديلة كالجدة أو العمة أو الخالة التي تتطوع لتربية من حرموا من أمهاتهم لم تنسها...

وخلال فترة زمنية قصيرة نسبياً استطاعت وبكل جدارة أن تكون الوجه النسائي الأبرز والأقرب إلى قلوب السوريين والعرب وحتى الصحف الأوروبية أبدت احتراماً وإعجاباً بشخصية السيدة (أسماء الأسد).. فأصبحت فخراً ورمزاً مشرفاً لكل امرأة عربية وسورية...

وإذا بدأت بأورنينا وعناة وزنوبيا فختامها مسك مع السيدة الأولى... التي هي وعد صادق وأمل لعودة ظهور أسماء لنساء سوريات سيخلدها التاريخ.




نزار قباني - معلقة دمشق

شعر: عبد القادر الحصني

أســرى بطرفــكَ نجمُهــا وكتابُهــا
وبــسـباكَ منهـــا كحلُهـــا وخضـــابُها
وقوامُهـــا باليـــاسمين موشّـــحاً
والمســـكران: فثغرهـــا ورضـــابها
ونــدى، أفــاق علــى الصباح، فســرّه
أنّ الصـــباحَ ســـريرُه أهـــدابها
وســـهولها، وســـفوحها، وجبالهـــا
ورمالهـــا، وفجاجهـــا، وهضـــابها
فيحـــاء باشــرها الزمـــانُ، فكـــان أنْ
شـــاب الزمـــانُ، ومـــا يــزال شـــبابها

* * *

هـــي لا أقـــولُ الحُســـنُ في ريعانـــه
لا ســـحرها منـــه، ولا أطيابهـــا
هـــي قُـــلْ بـــأنّ الحســـنَ صـــوّرَ نفسَـــه
منهـــا، وصـــار حضـــورُه يغتابهـــا
ويقـــول عنهـــا إنّ ســـبعة أنهـــرٍ
عشّـــاقها، ابتلّـــت بهـــم أثوابهـــا
ويقـــول عنهـــا: قاســـيون حبيبهـــا
والآخـــرون جمـــيعهمْ خُطّابهـــا







ويقـول مـا شـاء الغيـور، بـدا لـه
سـببٌ، ولم تظهـر لـه أسـبابها
فـأتِحْ لقلبـك أنْ يكـون قميصَـها
تعـرى، فيسـترها كمـا جلبابهـا
وأتـحْ لقلبـكَ أنْ يكـون حمامـةً
لتظلّـه في الهـاجرات قبابهـا
وأتِـحْ لقلبـك أنْ يقـدِّم وردةً
فلربّمـا يصـفو لـه إعجابهـا
إعجـابُ سـاجيةِ اللحـاظ، كنـائسٌ
في روحهـا، ويضـمّها محرابهـا
ولربّمـا وَثِقَـتْ بصـدقك في الهـوى
في آيـتين: تحبُّهـا، وتهابهـا
فتقـوم في يـدها مفـاتيح الـرؤى
مزدانـة آفاقهـا ورحابهـا
وتقـول: هيـتَ لـك المفـاتنَ كلّهـا
هـذي دمشـق.. وهـذه أبوابهـا
ويطـلّ مـن عليـا البيـوت بهـا فتـى
خيّلتُـه مُلقـى عليـه إهابهـا
شـربتْ ملامحُـه الجمـالَ بكأسـها
ورقـى الشـعورُ، فمرتقـاه حَبابهـا
حتـى اسـتوى شـعراً، تقطّر فـوق مـا
حلمـتْ دوالٍ، واشـتهتْ أعنابهـا
شـعراً هـو السـحر العجيـب، إذا عـرا
نفسـاً، فمـا تـدري الـذي ينتابهـا







حليــــتْ قصــــائدهُ، كـــأنّ غيومهـــا
بلمـــى الشمـوس مــذهّبٌ تســكابها
هطلــــتْ، ملوّنـــةً، فأصــبح مـــوجزاً
بالرســـــم في كلماتــــــه إســـهابها
هــــو شــاعرٌ، جـــاء القــريضَ، وقبّــةٌ
لشـــيوخه ضُــربتْ لهـــم أطنابهـــا
مـــن كـــلِّ عمـــلاق القصـــيدِ، كأنّـــه
مِلـــكٌ، تُســـاق إلى حِمـــاه ركابهـــا
خـــالوا القـــوافي مـــن عِـــداد عبيـــدهمْ
وتخيّلـــــتهم أنَّهـــــم أربابهــــا
وهـــمُ - وأيـــمُ الحـــقّ - أهـــل جمالهـــا
وجلالهـــــا، وعـــــداهمُ أغرابهـــا
حطّـــت رواحلَهـــا البلاغـــةُ بيـــنهم
وتنسّـــبتْ، فـــإذا هـــمُ أنســـابها
حتـــى أتـــى، وعلـــى يديـــه حريرهـــا
وســـوارها وعقودهـــا ومُلابهـــا
فـــاهتز عـــرش الشـــعر، لا متزعزِعـــاً
وجـــلاً، ولا مـــن ريبـــةٍ يرتابهـــا
لكنّـــه طرَبـــاً تمايـــل بعـــدما
لعبـــتْ ببـــال صـــنوجه أطرابهـــا

* * *

إيـــهٍ (نـــزارُ) حســـب شـــعركَ، رائـــداً
للحـــبِّ أرضـــاً كـــان طـــال يبابهـــا







فكشـــفت ألـــوانَ الجمـــالِ لأعـــينٍ
ظمئـــتْ، ولم تُســـقَ الجمـــالَ رغابُهـــا
نظـــرتْ، فألفَـــتْ ظُلمـــةً مســـلولةً
دون الجمـــال ســـيوفها وحرابهـــا
فتكفكفـــتْ أشـــواقُها، وتحمّلـــتْ
وجـــعَ الظـــلام بـــأعينٍ أعصـــابها
وإذا النفـــوسُ تفقّـــدتْ شمســـاً، ولم
تلـــقَ، استضـــاف عماءَهـــا ســـردابها
فمبـــاركٌ طفـــلٌ بـــأعين شـــاعرٍ
بعـــث الحيـــاة ســـؤاله وجوابهـــا
ومبـــاركٌ هـــذا الأمـــير تزيّنـــتْ
كُرمـــى لـــه، وتعتّقـــتْ أكوابهـــا
وأنـــاب ســـيافٌ، فأغمـــد ســـيفه
خجـــلاً، وأعلـــن أنّـــه بوّابهـــا
اللهَ للشـــعرِ.. الحيـــاةُ بدونـــه
ســـيّينِ كـــان حضـــورها وغيابهـــا
هـــو ماؤهـــا ونماؤهـــا، حتّـــى إذا
خَطْـــبٌ ألمَّ بأرضـــها، فعُقابهـــا
يهتـــزّ منتفضـــاً، ويُشـــهر روحـــه
ســـيفاً، لكـــي يبقـــى العزيـــزَ جنابهـــا
و(نـــزارُ) الســـيفُ المجـــرّدُ، ذادَ عـــن
شـــرف العروبـــة حـــين حُـــمّ ضـــرابها
شـــأنَ العظـــيم إذا اســـتُبيحتْ أرضُـــه
فمصـــابه في النائبـــات مُصـــابها





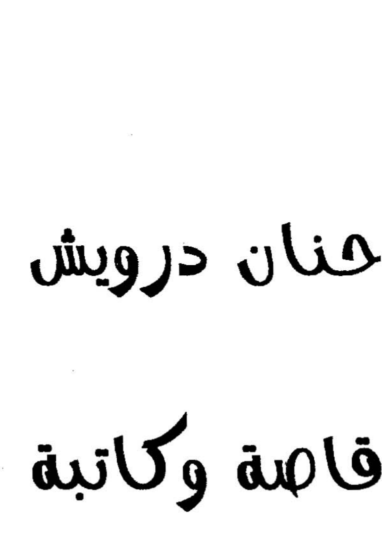


و(نـــزارٌ) الألم العميـــق بأمّـــةٍ
خـــذلت دمـــاءَ رجالهـــا أعرابُهـــا
و(نـــزارٌ) الليـــلُ الطويـــلُ عتابُـــه
لـــو شـــدّ نفســـاً للمـــلام عتابهـــا
لكنّـــه، و(دمشـــق) في أحداقـــه
أغفـــتْ، وأغفـــى يحتويـــه ترابهـــا
ثـــاوٍ، يمـــدّ بنســـغه أشـــجارَها
كـــي يســـتظلّ بظلّـــه أحبابهـــا

* * *

وغـــداً إذا وقـــف الزمـــانُ بدِمنَـــةٍ
ظُلَّـــتْ، وريحَـــتْ بالشـــذا أعشـــابها
ورنـــا إلى الـــورد الدمشـــقيّ الـــذي
حفَلـــت بنشـــر عـــبيره أعتابهـــا
وتمثّـــل الشـــعرَ العظـــيمَ وشـــاعراً
هـــو كلّمـــا دجـــت الخطـــوبُ شـــهابها
ســـيطيل وقفتـــه الزمـــان، ويزدهـــي
قمـــمَ الخلـــودِ بشـــاعرٍ ترحابهـــا
ويطـــلُّ رهـــطُ الخالـــدين، فقائـــلٌ:
مـــن ذا؟ ويشـــدَه أعينـــاً ترقابهـــا
حتـــى إذا وضـــحتْ ملامـــح وجهـــه
وإنجـــاب عـــن قمـــم الخلـــود ضـــبابها
ذهلـــوا! أهـــذا كلُّـــه في شـــاعرٍ؟
هـــذي دمشـــقُ.. وهـــذه أبوابهـــا



بقلم:
عيسى فتوح

حنان درويش أديبة وكاتبة وصحفية، وقاصة للكبار والأطفال معاً... ولدت عام ١٩٥٢ في (مصياف) التابعة لمحافظة حماة، وتلقت دراستها الابتدائية والإعدادية في مدارس دمشق وحمص، والثانوية في ثانوية بنات مصياف، ثم دخلت دار المعلمات الابتدائية في حماة، وتخرجت عام ١٩٧٤.

انتسبت إلى اتحاد الصحفيين عام ١٩٩٥، ثم إلى اتحاد الكتاب العرب بدمشق (جمعية القصة والرواية) عام ١٩٩٨.

كتبت القصة القصيرة والمقالة والدراسة الأدبية، وقصص الأطفال في عدد من الصحف والمجلات السورية والعربية، كـ (الأسبوع الأدبي، الفداء، البعث، الثورة، السياسة الكويتية...) وفازت بأكثر من جائزة أدبية، كان آخرها جائزة الطفل العربي عام ٢٠٠٠ عن قصتها (أمنيات خالد)، وجائزة الطفل العربي للسيرة القصصية عن حياة العاشقة المتصوفة (رابعة العدوية) عام ٢٠٠٥، وترجمت قصصها إلى اللغتين الإسبانية والهندية.

آثارها الأدبية

١- ذلك الصدى (قصص قصيرة) - دار السرمد - مصياف ١٩٩٤.
٢- فضاء آخر لطائر النار (قصص قصيرة) - دار الصداقة - حلب ١٩٩٥.
٣- وعادت العصافير (قصص للأطفال) - دار عُلا - حمص ١٩٩٦.
٤- بوح الزمن الأخير (قصص قصيرة) - اتحاد الكتاب العرب - دمشق ١٩٩٧.
٥- حكمة الهدهد (قصص للأطفال) - اتحاد الكتاب العرب - دمشق ١٩٩٩.

٦- أمنيات خالد (رواية للأطفال) - الأمانة العامة لثقافة الطفل العربي - الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٠.
٧- رابعة العدوية (سيرة للأطفال) - الأمانة العامة لثقافة الطفل العربي - الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٦.

بوح الزمن الأخير نموذجا

أهدت الأديبة حنان درويس هذه المجموعة القصصية «إلى مصياف المدينة الغافية على كتف المحبة والدفء والجمال...»، وقد ضمت عشرين قصة قصيرة، استوحتها من البيئة الاجتماعية الفقيرة التي عاشت فيها، وصورت فيها حياة البؤساء والمسحوقين الذين لا يملكون إلاّ أحلامهم، بلغة شعرية أنيقة ومترفة وشفافة.

تحكي حنان في قصة (بوح الزمن الأخير) التي حملت المجموعة عنوانها، مأساة مشردة، غدر بها الزمان، وهجرها أقرب الناس إليها «كل الذين أقسموا في حضرتها على الوفاء، غدت أيمانهم أوراقاً صفراء تتلاعب بها الريح... البيت والأولاد والكنف الدافئ وعريشة الياسمين...».

لقد تشردت في الشوارع والطرقات تحت المطر والزمهرير، لا تعرف أين تبيت «يودع البرد سياطه فوق صفحة وجهها»... وبينما هي في هذه الحال سمعت همهمة وأصواتاً وحركات لأناس لا تعرفهم... اقتربت منهم لعلها تستدر عطفهم، ويرأف بها أحد منهم، لكنهم لم يكترثوا بوجودها... سمعت أحدهم يقول: «لقد قرأت اليوم خبراً غريباً مفاده أن دائرة السجون وضعت إعلاناً يشير إلى أن أحد المحكومين بالإعدام طلب امرأة قبل أن ينفذ به الحكم!»، فقررت المسير إلى السجن دون تردد، ولكن كيف الوصول، ومن أين الانطلاق؟ لم تفكر كثيراً بالأمر، يكفي أن يكون في السجن سقف وجدران وحماية من البرد والمطر ولو لليلة واحدة، فشدت شالها وانطلقت...

حين وصلت أحست بأن الرجل القابع في غياهب الزنزانة هو منها وإليها... إنه متّهم بريء ألصقت به تهمة قتل متعمدة... وكم كانت الدهشة مذهلة: إمرأة!! هل ما يراه حقيقة أو حلم؟ وقفا متقابلين... «أبحر في غابات عينيها، حكى لها ظروفه القاسية وحظه العاثر، وضع رأسه على صدرها» وشرقا كلاهما بالدمع.. التمعت عيناه ببريق الأمل... يا له من منظر غريب يثير الشفقة والحزن معاً، حيث ترافق انهمار المطر مع انهمار دموع السجان الذي كان يجلس قرب باب الزنزانة!

اضطررت إلى تلخيص هذه القصة الرائعة مع يقيني بأن التلخيص كثيراً ما يفسد سياق العمل القصصي، ويختزل الأحداث، ويشوه الحبكة... لقد حبست أنفاسي وأنا أقرؤها لأعرف الخاتمة والنتيجة التي ستوصلنا إليها الكاتبة... ففي القصة غرابة مذهلة، فأي امرأة، حتى ولو كانت ساقطة، تضحي بشرفها وسمعتها لتمضي ليلة حمراء مع رجل محكوم عليه بالإعدام؟!..

لقد جعلت بطلة القصة التي لم تسمها تؤثر لقاء السجين في زنزانته، على أن تبقى مشردة تجلدها سياط المطر والبرد والصقيع... ألا يكفي أن يكون عنده سقف يؤويه ويحميه؟!

أما قصة (تمرد) فبطلها (أبو صطوف) الذي يقود حماره المسكين إلى البيطار، ليركّب له حدوات حديدية في أقدامه، فيتمرد خوفاً من

انغراز المسامير الكبيرة فيها... رفس ونهق وتساءل: ما معنى أن يكون له حذاء كباقي المخلوقات التي تسير على قدمين؟

لقد هدفت الكاتبة من هذه القصة الطريفة التي أدارتها على الحمار، إلى أنه لا حاجة لإفساد طبيعة الكائنات الحية بهذه الأشياء المصطنعة التي يفرضها الإنسان عليها قسراً... لماذا لا يكون الحمار المسكين مثله مثل كل الحيوانات الطليقة التي تنعم بالحرية وهي تسرح في البراري، دونما حاجة لأن يقيدها ويعذبها، ويفرض عليها شروطه القاسية وأحكامه الجائرة؟ ألا يكفي هذا الحمار الصابر ما يتحمله من جبروت الإنسان القوي وظلمه حتى يشده بالحديد ويثبته في أقدامه؟.

إنها قصة تنضح بالإنسانية والدعوة إلى الرفق بالحيوان، وتدعو إلى حرية الكائنات الحية على اختلاف ألوانها وأجناسها...

قصة (القصيدة الفائزة) تسخر فيها من واقع ما يُلقى في مهرجاناتنا ومراكزنا الثقافية من شعر رديء، يطلقون عليه تجاوزاً اسم (قصيدة النثر)، حيث يتأفف الحاضرون، وينامون في مقاعدهم، لأنهم لا يفهمون شيئاً من تلك الألغاز، ثم يبدؤون بالانصراف واحداً بعد الآخر، فلا تنتهي القصيدة حتى تكون الصالة قد فرغت من الحاضرين، وحين لم يجد (الشاعر الفالح) من يصفق له صفق لنفسه، نزل عن المنبر بالثقة ذاتها التي اعتلاه بها!

ولكي لا يكون في نقد الكاتبة الجريء شيء من التجني على (الشاعر الفالح) أوردت مقطعاً من قصيدته العصماء يقول فيه:

"رجعُ الصدى آت
يتسلق التلعات
يعبر مفازاتِ الرؤى
من منكم بلا خطية فَلْيَرْمِها
أذوب أذوب
فالقرنفلةُ أشرفت على الانتحار...!"

لقد أحسنت حنان درويش صنعاً، إذ وظفت قصتها الطريفة لتخدم مسألة يشكو منها مجتمعنا الأدبي كثيراً، ألا وهي طوفان الشعر الحديث الذي لا يحمل في طياته أي صور أو موسيقا أو إيقاع داخلي، أو أفكار أو معان ذات قيمة أو مضمون، بل هو رصف كلام مشوش وغير مفهوم، لو طلبنا من صاحبه أن يفسّره لنا لما استطاع... ومع ذلك يفرضه على المستمعين أو القراء بالقوة، ولا يبالي سواء فهموه أم لم يفهموه، وسواء تفاعلوا معه أم لم يتفاعلوا... المهم أن يُقال عن صاحبه إنه شاعر وكفى..!

*　　*　　*

ليس بالإمكان تحليل قصص الأديبة حنان درويش في مجموعاتها القصصية كلها... فمن خلال هذه القصص الثلاث المختارة يمكننا أن نطلع على أسلوبها في السرد، وعنايتها بإتقان الحبكة، وتشويقها للقارئ كي يتابع قصتها دون أن تجعله يمل أو يترك الكتاب جانباً، وهي ميزة لا يتمتع بها إلاّ فئة قليلة من كتاب القصة المحترفين...

في قصصها متعة وشفافية ولمسات ناعمة، ولغة أنيسة، وسخرية غير جارحة، ودعابة تزيح السأم عن صدر القارئ، ومضامين إنسانية، حيث تقف إلى جانب الفقراء والبسطاء والكادحين والمساكين والمهمشين ممن قست عليهم الحياة، وأظلمت عليهم دروبها.





درس خصوصي

شعر الدكتورة: سعاد الصباح

لا تنتقد خجلي الشديدَ.. فإنني
درويشةٌ جداً.. وأنتَ خبيرُ
يا سيّدَ الكلمات.. هبني فرصةً
حتى يذاكر درسَهُ العصفورُ..
خُذني بكُلِّ بساطتي.. وطفولتي
أنا لم أزَلْ أحبو.. وأنتَ خبيرُ.

*   *   *

أنا لا أفرّقُ بين أنفي أو فمي
في حين أنتَ، على النساء قديرُ..
من أينَ تأتي بالفصاحة كلّها..
وأنا.. يموت على فمي التعبيرُ
أنا في الهوى، لا حول لي أو قوّة
إنَّ المحبَّ بطبعه مكسورُ
إني نسيتُ جميع ما علّمتني
في الحبّ، فاغفر لي، وأنتَ غفورُ

*   *   *








يا واضع التاريخ.. تحت سريرهِ

يا أيّها المتشاوفُ، المغرورُ

* * *

يا هادئَ الأعصابِ.. إنّك ثابتٌ

وأنا .. على ذاتي أدورُ .. أدورُ..

الأرضُ تحتي، دائماً محروقةٌ

والأرضُ تحتك مُخملُ وحريرُ..

فرقٌ كبيرٌ بيننا، يا سيّدي

فأنا محافظةٌ.. وأنتَ جسورُ

* * *

وأنا مقيّدةٌ.. وأنتَ تطيرُ..

وأنا محجّبةٌ.. وأنتَ بصيرُ.

وأنا.. أنا.. مجهولةٌ جدّاً..

وأنتَ شهيرُ..

* * *

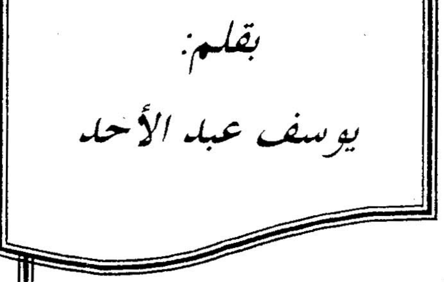
فرقٌ كبيرٌ بيننا.. يا سيّدي

فأنا الحضارةُ

والطّغاةُ ذُكورُ..




أحمد شاكر الكرمي ١٨٩٤ - ١٩٢٧



أديب ومترجم وناقد أدبي وصحفي جريء، أتقن العربية والإنكليزية.

منح وسام القدس للثقافة والفنون في كانون الأول ١٩١٠.

ووسام جوقة الشرف من رتبة شفاليه.

ولد أحمد شاكر الكرمي في مدينة طولكرم بفلسطين عام ١٨٩٤ ونشا في بيت علم وأدب ودين، فوالده الشيخ سعيد الكرمي (١٨٥٢ - ١٩٣٥) شاعر ولغوي وكان نائبا لرئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، وأخواه الشاعر عبد الكريم الكرمي/ أبو سلمى (١٩٠٩ - ١٩٨٠) وحسن الكرمي أديب وباحث ومترجم (١٩٠٥ - ٢٠٠٧).

تلقى دراسته الابتدائية في مدرسة طولكرم ثم سافر إلى القاهرة والتحق بالجامع الأزهر الشريف، وانتسب إلى رواق الشوام وقضى فيه مدة ست سنوات.

لم يستطع العودة إلى مسقط رأسه بسبب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) فتوجه إلى مكة وعمل محرراً في جريدة (القبلة) ثم عاد إلى مصر عام ١٩١٧ وعمل محرراً في مجلة (الكواكب الأسبوعية) لصاحبها محمد القلقيلي.

درس في مصر اللغة الإنكليزية حتى أتقنها، ثم جاء إلى دمشق حيث كان والده يقيم، وعمل كاتباً بالمحاسبة في سكة حديد الحجاز عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٢٤.

وفي دمشق ساهم في تأسيس جمعية الرابطة الأدبية في آذار ١٩٢١ وصدرت مجلة باسمها في أيلول ١٩٢١، وكان من أعضائها الأدباء والشعراء خليل مردم بك، وميشيل فرح، والمطران أبيفانيوس زائد، ومحمد الشريقي، وحليم دموس، وزكي الخطيب، وسليم الجندي، ونجيب الريس، وكانت الآنسة الوحيدة في

الرابطة الأدبية ماري عجمي (١٨٨٨ - ١٩٦٥) وأصبح شاكر عضواً في لجنتي النقد والترجمة.

ثم استقال من سكة الحديد وعمل في الصحافة ونشر مقالاته الأدبية في جريدة ألف باء لصاحبها يوسف العيسى (١٨٧٠ - ١٩٤٨) في زاوية بعنوان (المعرض العام) وكان يوقع مقالاته باسم مستعار (قدامة) كذلك نشر مقالاته في مجلة الرابطة الأدبية.

وفي عام ١٩٢٣ تولى تحرير مجلة الفيحاء.

وفي عام ١٩٢٥ أنشأ مجلة الميزان الأسبوعية التي استمرت في الصدور مدة سنتين، وتوقفت عام ١٩٢٦، وكان يتصل بالأدباء العرب في مصر والمهاجر ويراسلهم ويراسلونه.

قال عنه الأديب فؤاد الشايب (١٩١١ - ١٩٧٠) في مقدمته لكتاب (مختارات من آثار أحمد شاكر الكرمي) الصادر عن وزارة الثقافة عام ١٩٥٥:

"في الخامسة والعشرين من عمره ولما يمرّ عام واحد على إقامته في دمشق كان يملأ الحياة الأدبية في المدينة ويشغل محافلها ويظهر في كل مكان من صحافتها مرة باسمه الصريح ومرة باسم مستعار (قدامه).

كان يؤثر أن يتوارى وراء حروف رموزه منذ عام ١٩١٨".

ووصفه الأديب وجيه بيضون (١٨٩٧ - ١٩٦٩) في كتابه (بين الصناديق) قال:

"امتاز رحمه الله بكثير من المحاسن، فكان جم الفضائل الممتازة، عرف بالإباء حفاظاً على الكرامة وطيب الأحدوثة وترفعاً عن السفاسف في الحياة وتنزهاً عن كل ما يشين في مثل سنه.

وعرف بالصدق قولاً وعملاً ولا عجب فهو من بيت عريق بالعلم والزعامة والدين والتقوى".

تزوج ولم ينجب وأُصيب بمرض السل وفارق الحياة في الساعة الثامن من صباح يوم الأحد في ٩/ ١٠/ ١٩٢٧ ودفن في مقبرة الباب الصغير، وكتب على شاهدة قبره:

رقد أحمد شاكر الكرمي بن الشيخ سعيد الكرمي، مات غريباً إلا من إخوانه.

وكتب تحت هذه الكلمة هذان البيتان للشاعر محمد البزم:

ثوى تحت الثرى أحمد
فأشعل في القلب نيرانه
وأسرع يبغي رضا ربه
وتاريخه ود غفرانه

وتقديراً لأدبه الإبداعي كرّمته لجنة محافظة دمشق بإطلاق اسمه على الشارع الواقع بين جادة الخطيب وشارع حلب على امتداد شارع عادل الكسم في ١٢/ ٤/ ١٩٥٥.

آثاره المطبوعة

١- الكرميات - مجموعة قصص ومقالات - مصر آذار ١٩٢١.
٢- مي أو الخريف والربيع - معربة عن الإنكليزية للشاعر جيوفري شوسر - دمشق ١٩٢٢.
٣- خالد - رواية للقاص الأميركي ماريون كروفورد - دمشق ١٩٢٣.
٤- الوردة الحمراء - معرفة لأوسكار وايلد.
٥- مجلة الميزان (١٩٢٥ - ١٩٢٦).




أنت اليراع

شعر: كامل إسماعيل

أنتِ اليراعُ...
ودمعي يعشق الورقا
والقلبُ...
ينطقُ أحياناً...
إذا خفقا
إني وقفتُ...
لك قلبي...
وطهرَ دمي
وحسن نطقي
إذا ما ناطقٌ
نطقا
أهدابك السودُ...
في قلبي لها وجعٌ
يخطو إليها دمي
في زورقٍ صعقا
تلك المسافاتُ
مهما كان قسوتها
قطعتها سالكاً
كي أحضن العنقا
قطعتِ كلَ بساتين الهوى
شبقاً
حتى وصلت شغاف الفجر
والأفقا
والريح... والليلُ...
مهما كان عزمهما







سلكت فيهما درباً
يكره النزقا
قد آنستني ضياءاتُ
وومضُ هدىً
تلألأت في جبين الحبِّ
وانبسقا
صفاؤها...
كجبين البدر لمعته
محفوفة بوميض الشوق
إن فتقا
مزروعة بفؤادي...
وهي ثائرة...
لا يعرِف القلب منها
السوءَ والقلقا
هذا شراعي...
بجرحي صغتُ مبسمه
لا الريح تخزقه
إن شذّ أو برقا
من وجنة الحبِّ...
صغناه...
لنعبده...
هو الحقيقة...
ما أحلاه إن صدقا
لم يخفه الليلُ
مهما اشتدّ ظلمته
ولا الضباب
ولا الغدّارُ
إن سرقا
قد صار أسطورةً
ما أحلى لمعتها
هي البروقُ
وما أحلاها منطلقا






هو الذي كان سيد الحلويات عند البجبوحة، والغذاء عند الضيق، والهدية والدواء عند الحاجة، تراجع ليصبح طبق حلوى. خجول بسيط في زوايا موائدهم العامرة بأنواع الكاتو والشوكولاتة وحلويات أخرى لا يتقنون لفظ أسمائها..

هو الذي حزن لحزنهم، وفرح لفرحهم، ولعن دولة كانت عصابة من اللصوص قد أنشأتها، ثم ساندت شراذم قطاعي الطرق لتسرق أرض إخوتهم، أصبح طبقاً منسياً..

كان الذهب الأسود قد تفجر في أراضيهم.. وكان المستثمرون من أقرباء وغرباء يتفننون في اختراع طرق جديدة لمنع المال من أن يفجر جيوبهم.. فكانت المتاجر والمصانع والشركات وكانت

الحلويات الشرقية والغربية التي لم يعرفها أجدادهم.. أحبوها.. تلذذوا بطعمها الغريب.. وتراجع سيد الأطباق.. ثمر النخيل.. الحلوى والغذاء والدواء.. تراجع إلى المقعد الأخير منسياً منبوذاً خجلاً من الأيدي التي تمتد إلى كل الأطباق المزينة وتنسى حباته المتواضعة المظهر..

ومع أن أحداً لم يعد يهتم به، إلا أنه لم ينسى أن يثور لثورتهم.. ويبكي كلما سمع أخبار الأرض المغتصبة، ويلعن عصابات اللصوص، وقطاع الطرق.. ويتأثر بأصوات البعض تنطلق لمقاطعة بضائعهم، ولو كان له صوت لصرخ معهم أن قاطعوا..

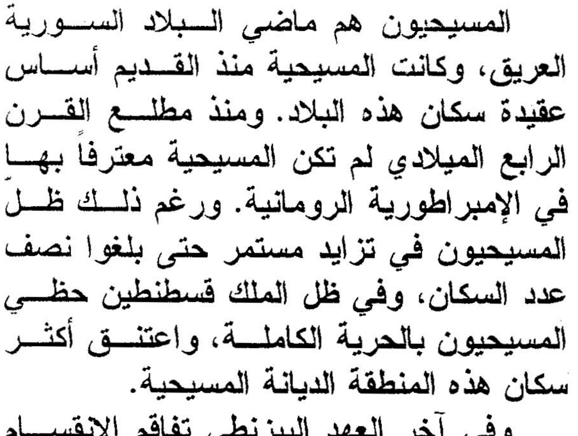
إلى أن كان يوم لن ينساه حين توسط مائدة الحلويات طبق جديد مترف مزين بالدانتيل الأبيض وشرائط الأورغنزا..

قطع ملساء كبيرة متشابهة تغري بتذوقها.. تخاطفت الأيدي المعجبة محتواه متناسية جنى نخيل الأرض.. هذه المرة لم يتحمل الألم.. لا لم تكن المرة الأولى التي يقف بها منسياً، لكنها كانت الأقسى..

فمن بلد بعيد كانت عصابة من اللصوص قد بنته، ثم ساندت قطاع الطرق لتسرق أرض إخوتهم؛ من بلد ينادي الملتزمون بمقاطعة بضائعه.. من ذلك البلد استوردوا صنفاً جديداً من الحلويات الغالية فتسابق الأثرياء لشرائه وتوسط موائدهم وتخاطف الضيوف قطعه وتناسوا حلوى أجدادهم.. كان ذلك الصنف نوعاً جديداً مهجناً من التمر..

كنائس دمشق

بقلم:
حكمت هلال



المسيحيون هم ماضي البلاد السورية العريق، وكانت المسيحية منذ القديم أساس عقيدة سكان هذه البلاد. ومنذ مطلع القرن الرابع الميلادي لم تكن المسيحية معترفاً بها في الإمبراطورية الرومانية. ورغم ذلك ظلّ المسيحيون في تزايد مستمر حتى بلغوا نصف عدد السكان، وفي ظل الملك قسطنطين حظي المسيحيون بالحرية الكاملة، واعتنق أكثر سكان هذه المنطقة الديانة المسيحية.

وفي آخر العهد البيزنطي تفاقم الانقسام الديني في المجمع الخلقيدوني المنعقد عام ٤٥١م لدى السريان اليعاقبة وانتشرت المسيحية من عام ٣٠ – ٦٣٢م وفي عام ٣١٣م وقعّ في ميلانو مرسوم اعترف فيه بشرعية الكنيسة في القدس على يد الرسل الأربعة الذين شهدوا قيامة السيد المسيح وبدؤوا يبشرون بالديانة المسيحية باسم يسوع، وكانت البشرى برحلات القديس بولس الرسول الذي اهتدى للدين المسيحي في دمشق وبشرّ به بعد أن كان مضطهداً. وتراجعت الوثنية أمام التبشير المسيحي، وفي الحقبة الإسلامية أصبح مسيحيو الشرق في ذمة المسلمين، وتراجع عددهم في الشرق لانصهارهم بالمسلمين ودخول قسم منهم في الديانة الإسلامية.

الكاتدرائيات والكنائس

١- بطريركية الروم الأرثوذكس الواقعة في طالع الفضة بدمشق، أنشئت عام ٣٩٥ – ٤٠٨، ذكرتها المصادر التاريخية وشيِّدَت من جديد عام ٧٠٦م وفيها الكنيسة المريمية.

٢- بطريركية الروم الكاثوليك في حارة الزيتون في باب شرقي داخل السور وهي قديمة العهد وقد دشنها البطريرك مكسيموس مظلوم عام ١٨٣٤ ثم احترقت عام ١٨٦٥ في

عهد البطريرك غريغوريوس يوسف سيور الدمشقي وفيها كنيسة القديس بولس.

٣- بطريركية السريان الأرثوذكس الواقعة مقابل سفل التلة في باب توما أنشئت عام ١٩٥١م وفيها كنيسة القديس مار جرجس.

مطرانية الأرمن الكاثوليك في باب توما جادة حمام البكري بدمشق شيّدها الآباء اليسوعيون عام ١٩٣٠ وجُدِّد بناؤها عام ١٩٥٥م.

٤- مطرانية الأرمن الأرثوذكس وفيها كنيسة القديس مار سركيس في باب شرقي داخل السور، وهي قديمة العهد، وكانت على اسم الشهيدين سرجيوس وباخوس، احترقت عام ١٨٦٠ فأعيد بناؤها عام ١٨٦٦.

٥- مطرانية السريان الكاثوليك كاتدرائية القديس بولس في باب شرقي داخل السور في نهاية الشارع المستقيم. وهي قديمة العهد وفي عام ١٦٦٢ تنازع عليها السريان الأرثوذكس والسريان الكاثوليك، وفي عهد المطران غريغوريوس يعقوب حلياني (١٨٢٧ – ١٨٧٦) الذي انضم إلى الكثلكة عام ١٨٢٩ وأصبحت الكنيسة للسريان الكاثوليك، وكانت الكنيسة على اسم القديس موسى الحبشي، وقد احترق قسم منها في أحداث عام ١٨٦٠ ورممها المطران المذكور سنة ١٨٦٣.

مطرانية مار مطانيوس للموارنة في باب توما أنشئت عام ١٨٦٥م.

٦- كنيسة الكلدان في باب توما (سان تريزا) أنشئت عام ١٩٤١م

٧- الكنيسة الأنجيلية الوطنية (المشيخة للبروتستانت) تقع في ساحة الدوامنة أنشئت سنة ١٨٦٦م

٨- كنيسة يسوع نور العالم، وهي كنيسة الاتحاد المسيحي الإنجيلية الوطنية في حي القصور أنشئت عام ١٩٧٠.

٩- الكنيسة المعمدانية الإنجيلية تقع في شارع القصور.

١٠- الكنيسة الإنجيلية الوطنية في حي الدويلعة

١١- كنيسة يسوع الناصري الإنجيلية في منطقة باب توما بين حي جعفر والقصبة ضمن دار عربية أنشئت عام ١٩٢٠.

١٢- كنيسة القديس الرسول حنانيا للروم الأرثوذكس، تقع في حي القره شي بالميدان، وهي قديمة العهد ومصممة بطريقة تقليدية أتبع فيها النمط الملكي بالوسائل المتاحة في ذلك العهد، فنجد على باب الحرم الخارجي لوحة رخامية كتب عليها كنيسة القديس حنانيا الرسول الأرثوذكسية تأسست عام ١٨١٥.

١٣- كنيسة الصليب المقدس للروم الأرثوذكس، بناها في القصاع المحسن سابا بن جرجس صعبية سنة ١٩٣٢م.

١٤- كنيسة الملاك ميخائيل للروم الأرثوذكس في كورنيش التجارة أنشئت عام ١٩٨٠.

١٥- كنيسة القديس جاورجيوس للروم الأرثوذكس في شرقي التجارة شيدت هذه الكنيسة في عهد البطريرك أغناطيوس الرابع هزيم على نفقة المحسن جورج ضاهر بدين عام ١٩٩٢م.

١٦- كنيسة مار الياس الغيور للروم الأرثوذكس في حي الطبالة أنشئت عام ١٩٩٠.

١٧ – كنيسة القديس ديمتريوس لطائفة الروم الأرثوذكس بين عرنوس وأبي رمانة، تطل على حديقة السبكي، أنشئت عام ١٩٨٩م.

١٨- كنيسة القديس حنانيا، يقع المزار بزقاق حنانيا إلى اليمين الداخل من الباب الشرقي، ويعرف بديماس حنانيا (الديماس موضع تحت الأرض) ويعود بناؤها إلى القرن الرابع الميلادي.

١٩- كنيسة القديس نيقولاوس في المزه وهي حديثة العهد للروم الأرثوذكس أنشئت عام ١٩٦٥.

٢٠- كنيسة القديس بولس في ضاحية دمر وهي حديثة العهد، وهي مشتركة لطائفة الروم الأرثوذكس وطائفة الروم الكاثوليك.

٢١- كنيسة القديس منصور تقع هذه الكنيسة داخل باب توما جادة ميخائيل نعيمة من شارع الغازرية أنشئت عام ١٨٣٥.

٢٢- كنيسة القديس يوحنا الدمشقي في شارع شكيب أرسلان في حي أبي رمانة أنشئت عام ١٩٥٧.

٢٣ - كنيسة القديس كيرلس الإسكندري للروم الكاثوليك في حي القصاع مقابل المشفى الفرنسي، أنشئت في عهد البطريرك كيرلس مغبغب سنة ١٩٣٠م.

٢٤- كنيسة القديس جاورجيوس للروم الكاثوليك في حي التيامنة بباب مصلى، وتعد هذه الكنيسة من أقدم الكنائس الواقعة خارج مدينة دمشق المسورة، وقد أوقفها أهالي هذا الحي القدامى، وغالبيتهم من القادمين من حوران إلى حي الميدان لتعبدهم وتكريمهم لهذا القديس الشهيد، فأنشؤوا في باب المصلى كنيسة على اسمه وبنيت عام ١٨٣٦م.

٢٥- كنيسة سيدة النياح للروم الكاثوليك في حي القره شي بالميدان (وتعني رقاد السيدة العذراء) وتعني اللفظة باليونانية في التقليد الليتورلجي نوم السيدة أنشئت هذه الكنيسة عام ١٨٣٤.

٢٦- كنيسة سيدة دمشق الحديثة العهد في حي القصور والمصممة بطريقة عصرية بنيت عام ١٩٦١م.

٢٧- كنيسة يوحنا الدمشقي للروم الكاثوليك في باب شرقي قرب مدرسة الآسية، بناها المطران ايوانيكوس المساميري الدمشقي للروم الكاثوليك في عام ١٨٦٢م.

٢٨ - كنيسة إبراهيم الخليل للروم الكاثوليك في حي الكشكول.

٢٩- كنيسة مار يوسف للروم الكاثوليك في حي الطبالة، وهي حديثة العهد أنشئت عام ١٩٩٥.

٣٠- كنيسة العذراء للسريان الأرثوذكس في حي القصور، وهي (كابيلا) أنشأت عام ١٩٦١.

٣١- كنيسة السيدة فاتيما، وتعرف باسم السيدة فاطمة للسريان الكاثوليك في شارع حلب منطقة الغساني بدمشق أنشئت عام ١٩٦٥.

٣٢- كنيسة يسوع العامل لطائفة السريان الكاثوليك في الدويلعة أنشئت عام ١٩٨٦.

٣٣- كنيسة مار سركيس للأرمن الأرثوذكس في داخل السور في باب شرقي.

٣٤- كنيسة القديس يوحنا دون بوسكو الإيطالية، كنيسة لراهبات سيدة بنات مريم العذراء المساعدة السالزيانيات من طائفة اللاتين بحي الطلياني بدمشق، أنشئت عام ١٩١٣.

٣٥- كنيسة القديس أنطوان البادوي لطائفة اللاتين، قبالة مبنى وزارة الصحة بدمشق وتعرف بكنيسة اللاتين أنشئت عام ١٩٢٦.

٣٦ -كنيسة القديس أغناطيوس للروس الأرثوذكس في شارع محمد البزم غرب المالكي أنشئت عام ١٩٧٣.

وهكذا نجد أن سورية هي مهد الحضارات المسيحية القديمة، فيها ظهرت وعلى أرضها نمت وترعرعت، ومنها خرجت وانتشرت في جميع أنحاء العالم.

وهذه المقالة الموجزة السريعة هي نبذة من موضوع كبير كبر هذا العالم، وغيض من فيض أفاض على الدنيا، فخلصها من وثنية العبادات وشرك الضلالات، وأنار معالمها المظلمة بنور الإيمان المشرق.




آخر الفرسان..

شعر: جورج يوسف شدياق – فترويلا

سألني.. وفي سؤاله ما يشفي غليله: ألم تزل تنظم الشعر؟؟

وجذوة الأدب والمهجري قد خبتْ منذ سنين..؟ فأجبته شعراً:

ما جفَّ روضي ولا غاضتْ سواقيهِ
فمنْ حنايا ضلوعي بعد أرويهِ

مواسمُ الشعر عندي بعد خيّرةٌ
متى تأبّتْ على كفٍ دوانيهِ

فتحتُ صدري لهُ طفلاً فشبّ معي
قلْ كيفَ وهو وليدي لا أداريهِ

مازال يملأ عمري بهجةً ورضى
هيهات هيهات عنْ عينيّ أُقصيهِ

حملتُ همَّهُ في قلبي فأتعبهُ
الشعرُ وحدهُ يدري ما أُعانيهِ

يلومُني في هواهُ الغرِّ ذو عمهٍ
لقد دعاني فمالي لا أُلبّيهِ

جعلتُ من ولهي قلبي وسادتَهُ
أليس قلبي المعنّى بعد يُغريهِ

يصحو على لحنِ حزني في الصباح معي
ففي ضلوعي حنينٌ عزَّ أسيهِ

أبشُّ حين يناغي الوحي قافيتي
وإن توانى ففي ليلي أُناغيهِ

لو لمْ يك الشعرُ في حزني وفي ألمي
عوني، لمتُّ أسى في مهمهِ التيهِ




مــا قيمــةُ الحــرْفِ لا يســمو بــه قلــمٌ
ولا إلى ذروةِ الإبـــداعِ يُدنيـــهِ
قــدْ تســتريحُ قــوافي الشــعرِ في تعــبٍ
فمــا الســلوّ إذا استعصــتْ قوافيــهِ

مازلــتُ في الســاحِ وحــدي حــاملاً قلمــي
حــاش عــوادي النــوى مــا عشــتُ تطويــهِ
علــى جــوادي وســيفي في يــدي أبــداً
مــن ذا إذا ثــابَ للعليــاءِ يثنيــه
نعــمْ أنــا آخــر الفرســانِ يــا وطــني
خلــف البحــارِ مــن الأرزاءِ أحميــهِ
بقيــتُ رُغــم همــوم الهجــر مُنجــدهُ
مــن البلــى.. ومــن النســيانِ مُنجيــهِ

الضــادُ - شــكراً إلهــي - لمْ تــزلْ لُغــتي
زيــدي فــؤادي هــوى يــا ضــاد زيديــهِ
لمْ يُلهني المــالُ عــنْ شعري وعــنْ أدبــي
لا لســت أعبــده.. لا لســت أبغيــهِ
بــئس التجــارة لمْ أعبــأ بهــا أبــداً
فعاشــقُ الحــرفِ بعضُ الخبــز يكفيــهِ
الحمــد لله.. مــالي ألــفُ قافيــةٍ
هيهــات أُغلــي الغنــى.. هيهــات أُغليــهِ
هــذي القــوافي شمــوعٌ في دُحــى عُمُــري
أســكنتها القلــبَ فانجابــتْ دياجيــهِ
نيّــرانِ في العمْــرِ نمضــي عبقــري وأنــا
مازلــتُ أرتــعُ في أنحــاءِ واديــهِ







أهــوى القــديمَ فشــوي مــن منابتِــهِ
رُغــم النــوى، وقريضــي مــن مجانيــهِ
قصــائدُ العمــرِ عــن ذاتــي معبّــرةٌ
ومــا اجــتمعنَ معــاً إلاّ لترفيهــي
ولمْ أكــنْ شــاعر الفصحى لمــتُ أســى
تبــارك الشــعرُ مــا أنــدى أياديــه
يــا مَهْبِطَ الــوحي لا تبخَـلْ علـى قلمـي
فكـلّ شـعري المصفّى أنـتَ موحيــهِ

* * *

واهــاً علــى شعرِنا النــائي فقــد طويــتْ
أعلامُــــهُ، ودَجَــتْ أرجــاءُ ناديــهِ
الراحلــون كــثيرٌ عــن مراتِعِــهِ
والعائــدون قليــلٌ في نواحيــهِ
آثــارهم لم تــزلْ في كــلِّ مكتبــةٍ
فكيــف أرثــيهمُ.. بــل كيــف أرثيــهِ
لمْ يبــقَ مــن أمسِـهِ الزاهــي ســوى أثــرٍ
يكفيــه مــا مَنَحَ الأجيــالَ يكفيــهِ

* * *

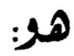
حبّــانِ في خــافقي قــد أنعشــا أملــي
مــا نفــعُ عمــري إذا غاضــتْ أمانيــهِ
أهــوى ربــوعَ الصبا.. أهــوى ثـرى وطـني
والشـعْر مــا عشــت أحنــائي مراعيــهِ
قــلْ لــي وداعــاً إذا عــزَّ اللقــاء غــداً
آمنــتُ بالحــبِ مــا أســمــى معانيــهِ
يــا ربِّ زدنــي ولوعــاً في هــوى أدبــي
فلــنْ أضــنَّ بــه مــا دمــت أهديــهِ




قصة

مرفأ للعودة..

بقلم:
عبير كامل إسماعيل



هو:

أعلم أنها تبكي في الخارج بصوتٍ مخنوق، تغطي فمها بالمنديل، تمسح الدموع، وتعيد ترتيب زينتها لتدخل إليَّ، وابتسامة فارغة المعنى ترتسم على شفتيها..

كانت عيناها القلقتان تنظران إلى كل شيء عدا عينيّ، ربما لم تتخيّل يوماً أن تنكسر المرآة التي رسمت أجمل صورة لها، وتوَّجَتْها ملكةً لقلبي، هذا القلب الذي خانني الآن، رأيتها تنظر بلهفة وقلقٍ إلى جسدي الذي تتجاذبه قوى الحياةً والموتِ، إلى جسمي المهترئ، الآتي من العالم الآخر والذاهب من هذا العالم، مسكينةٌ لا زال لديها بصيص أمل.

ركعتْ عند سريري، همستْ بكلمات لم أستطع رغم كل محاولاتي أن أتبيَّن معناها، لكنني أحسست بها تنتشر كعطر يتغلغل في مسام روحي، فترتخي شراييني المتصلبة، ترفع رايتها البيضاء وتعلن الهدنة.

وعندما قبَّلتْ جبهتي المحترقة بنار الحمّى، انطفأت جذوة النار المتوقدة بمياهٍ تدفَّقَتْ من أقاصي قلبها الهادر بالأمل..

رأيتها تركض إلى النافذة تغلقها كأنها تطرد ملك الموت ثم تتنفس الصعداء (الموت غدّار).

أمّا عندما احتضنت يدي، ارتخت بين يديها، استطاعت روحي رؤيتها من فضاء الغرفة وهي تقبض بكلتا راحتيها على يدي المرتخية وتردد في شبه هستيريا:

- لن أدعك تموت.. لن أدعك تموت...

هي:

كانَ الوقت ياسميناً عندما رأيته في تَحَيُّزِ الأزهار للربيع، كان العمر انتظاراً عندما

رسمته قوس قزح في سماء حياتي، كان صعباً عليَّ أن أتخيل عمراً دون أمطار.. ودون أقواس قزح.. مسحتُ دموعي.. دخلتُ إليه، يجب أن أكون أقوى من الموت، لن أدع شرايينه التي تمرَّدت، ولا قلبه الذي سرقوا الفرح والأمل منه يأخذانه مني..

كنت أقف إلى جانب السرير، أنظر إلى الجهة اليسرى من صدره، صارت الغرفة، بل الدنيا دقّات قلب مضطربة، كلُّ خفقةٍ كانت تعني لي حياةً، مَستقبَلاً.

دعوتُ حتى الثمالة، واخترقت عيناي السموات حتى وصلتا إلى النور: (لا تأخذْه).

ركعتُ بجانب سريره، همست في أذنه:

– لطالما قلتَ: (إنني نصف امرأة ونصف حلم..). إنني امرأة عندما تعيد لي صورتي في عينيك، وإنني حلمٌ عندما أتحول لحقيقة في أحلامك، عُدْ لنغسل أقذارهم بأمطارنا، عُدْ لنهزم سارقي الأمل بقوة وجودك..

تململَ قليلاً، كأن كلماتي انسربت بين ضلوعه..

وقفت أنظر إليه مغطىً باللون الأبيض، لأول مرة يرتبط اللون الأبيض في ذهني بالقلق والموت والخوف:

– آه.. كم يبدو العالم جميلاً ما دمت فيه، يكفيني أن يكون شهيقي وزفيري بنبضات قلبك حتى لو كنت في أقاصي الدنيا..

قبّلتُ جبهته، كانت فرناً كاوياً، ليت ريقي كان كلّ ثلوج سيبيريا لتطفئ لظى هذا الحرّ الخانق..

ركضت إلى النافذة، أغلقتُها أمام ملك الموت:

– لن يذهب!!

وضعتُ راحته بين راحتيَّ، ضغطت عليها، ارتخت يده بين يديّ، أصبحت كخرقة قديمة، ضغطْتُ أكثر، دخل دمي في عروقها، وظللْتُ أضغط وأضغط:

– لن أدعك تموت.. لن أدعك تموت..

الرّوح:

كنت روحاً تائهة أعياني برد العالم، وظلم الناس، سجن العادات والتقاليد، تبدُّل القيم، وخيانة الأصدقاء، الفقر، والضعف، قرّرتُ ترك جسد صاحبي، لألتحم هناك في السماء بدفء النّور، ولأنعتق من سجون الأرض العفنة، انسللت من أصابعه ببطء، أخذت أحوم في فضاء الغرفة لأودّعه.. ولأبحث عن منفذ فأهيم في أطراف الكون اللا متناهي.. لكنَّ ثمة صوتاً.. عميقاً، دافئاً، منبعثاً من قلب له من الآلام والشقاء والحبّ ما لصاحبي، وله من الصدق والسحر ما جعلني أصغي إليه، أتماهى بحروف لغته، شعرتُ بقوة خفية تشدّني إلى الجسد الضعيف، وصوت يقرعُ أبوابي:

– لن أدعك تموت..

لملمتُ أشلائي واندسستُ بين حبات عرق يديها، سبحتُ في دمه الذي نقاه أوكسجين حبّها، نقلتُ على أجنحتي رسائل عشقها وحزنها.. هززتُ ضعفه بتمردي:

– لم يحنْ وقت الرّحيل بعد، مازال هناك الكثير لتفعلَه، قلمك يناديك لتفضحهم، قلمك يناديك لتردّ لها جمالها وأنوثتها، فأنا أيضاً: لن أدعك تموت..

دخل الطبيب على مشهد غريب، كان عينا المريض منطبقتين نصف إطباقة توحيان بالحياة، وكان صوتها لا يزال يعلو:

– لن أدعك تموت.. لن أدعك تموت..

محمد الماغوط

وزكريا تامر

يذيبهما الحزن

بقلم:
ندى محمد عادلة

محمد الماغوط وزكريا تامر يجمعهما الحزن الممزوج بالبسمة الساخرة... قمران أضاءا سماء الأدب في القرن الماضي وأشعلا فتيلا النار عند المتلقي.

محمد الماغوط وزكريا تامر العظمة تلم شتات الإبداع المتناثر عندهما...

وتكمن أهمية دراسة وجهة النظر والرؤيا بين المبدعين الاثنين، في الكشف عن مدى تحقيق الانسجام القائم بين المستوى الفني والمستوى الفكري في الأعمال الأدبية لكليهما، وهذا ما ينطبق على المبدعين الاثنين تامر وماغوط. إن تغطية الموقف الأيديولوجي وتعريته، هو سحر الإبداع عند المتلقي، وهذا ما تكشف عنه شاعرية اللغة السردية عند زكريا تامر التي تمتاز بطبيعتها المجازية وتكثيفها الحسي المتوتر والراجف ثم الحزين، وهذا ما ينطبق أيضاً على التكثيف اللغوي والإيجاز الكلامي والحزن المضيء الذي يغلف كل حرف من حروف الماغوط.

لماذا يشدك ويغويك الحزن في ضوء القمر؟ ولماذا تتابع بشغف صهيل الجواد ودمشق الحرائق؟

إن التداخل والامتزاج بين التجربتين في الحزن المبدع، يجعل أي حديث عن أحدهما حديثا عن تجربة الآخر، إذ يشكلا بالتأمل الواعي الحزين فضاء إبداعيا واحدا يتقاطع فيه صوتين وهاجسين قلقين متوترين أمام درامية الوجود والحياة القاسية، بين جدران أربعة وتحت سماء واطئة كما يقول بطل في أحد قصص تامر أو داخل غرفة بملايين الجدران كما قال الماغوط.

تقول نظريات النقد من عصر أرسطو حتى الآن: (أن الشعر ملم أساسا بالحقيقة العامة) وهذا يتطلب حماساً متحالفاً مع الجنون، والخروج من ذواتنا فنغدو نحن ما نتصوره (الكلمات الجميلة هي النور الغريب

الذي يضيء العقل) (ليكن العمل ما تريد له أن يكون شريطة أن يتسم بالبساطة والوحدة) (التفكير الصحيح هو بداية الكتابة الجيدة وينبوعها) (ينبغي ألا نفصل أنفسنا عن الطبيعة) (متعة الخيال التوصل إلى الصحة أكثر مما يوصل الفهم إليها) (التدفق العفوي للشعور القوي خير الكلام) (القوة السحرية والتركيبية للخيال) (العين على الموضوع) (تحرير روح الحقيقة) (تضامن المضمون والشكل) (نقد الحياة) (التقمص العاطفي محبب لوجودنا) (التعبير عن الانطباعات)

هذه الكلمات هي قمم النظريات النقدية وذراها، المرتفعات التي توصل إليها في الماضي خيرة المفكرين في محاولاتهم لتفسير الحقيقة وشرح الفنون. وأعتقد أن الماغوط وزكريا تامر ينطبق عليهما قانون الإبداع بتحرير روح الحقيقة من خلال نقد الحياة بالبسمة الحزينة المرتجفة والصريحة.

لقد خرج زكريا تامر ومحمد الماغوط عن قيم الإبداع السائدة، وكان إبداعهما في هذا الخروج عن المألوف ومن تجارب حياتهما المتماثلة في التعتير والشقاء وتوافق الاثنين مع الحرية والانعتاق من الزمن. ولا تختلف قصائد الماغوط بحزنها عن مناخات تامر في قصصه وفي مجموعته /صهيل الجواد الأبيض/ حيث شعور الحزن والعزلة والاغتراب واليأس والضياع يطغى على شاعرية الماغوط وعلى السرد الروائي عند تامر.

يقول الماغوط في المرارة والحرمان والحزن الذي يعيشه: إنني هنا شبح غريب مجهول أنتقل كالعواهر من شارع إلى شارع أشتهي جريمة واسعة.

ويقول زكريا تامر على لسان بطل قصته: سأحدثها عن كآبتي التي تغلني إلى شوارع لولبية لانهاية لها، سأحدثها عن الله والناس والخبز والليل والوحش الغريب.

وتكشف قصائد الماغوط عن طبيعة المكان الذي يعيش فيه حيث الغربة والعزلة والحزن يلبساه صيفا وشتاء...

أيها العمال والفنيون
أعطوني بطاقة شعر إلى السماء
فأنا موفد من قبل بلادي الحزينة
ففي راحتي بدل النقود.... دموع
لا مكان لي
ضعوني في مؤخرة العربة
على ظهرها
فأنا قروي ومعتاد على ذلك

وإذا كان أبطال قصص زكريا تامر يعانون من الإحساس الحاد بالضياع والعبث والاغتراب في عالم يعاديهم ولا ينسجم مع تطلعاتهم ،تراهم يشعرون بالنقمة والكراهية. ولذلك فإن بطل قصة الأغنية الزرقاء الخشنة، يعلن أن أول ما سيفعله عندما يصبح غنيا هو تحطيم المعامل وجعل الآلاف من الرجال والنساء يشتركون في أغنية تتحدث عن الأرض والإنسان والحب ص١٢، وشخصياته تؤثر التسكع والفوضى والضياع ص١٠ حتى يغدو هذا العيش جزءا من وجودها.

يقول تامر: أحب الخمر والغناء والأزقة الضيقة ،أحب الشعر والخبز الأبيض والنهود الفتية والمطر.

ويؤكد الماغوط بإحباط شديد أنه: منذ بدء الخليقة وأنا عاطل عن العمل. وفي قصيدة أخرى يقول أنه: مغرم بالكسل. وهذا ما يؤكده أحد أبطال زكريا تامر عندما يسأل عن موقفه من العمل فيقول: أنا أحب كل الأشياء إلا العمل.

إن الحزن الذي يحول الشعراء والرواة إلى مبدعين يتقاطر مع غربتهم وينسجم مع الضياع والخوف المتوقد المبدع لذلك تراهم يتمنون الرحيل والسفر وحتى إلى المجاهيل من الكون، علهم يتحررون من وطأة الخوف ومن

البؤس الذي تفرزه غددهم المتدفقة شعوراً وإحساساً وهذا ما يثبت أن المبدع يعيش الغربة مع زمنه ولكنه في إحساسه قائداً ورباناً لسفينة النجاة من عبث الواقع...

يقول الماغوط:

يا أرصفة أوروبا الرائعة
أيتها الحجارة الممددة
منذ آلاف السنين
أما من وكر صغير
لبدوي من الشرق..

ويتداخل صوت تامر مع صوت أحد أبطال قصصه في فضاء الرغبة بالسفر والرحيل فيقول: آه لاشيء في هذا العالم أجمل من البحر والتنقل الدائم.

وقيمة التجربة تكمن في عمق شاعرية شاعرها إلى حد التوحد مع المعاناة والتجربة. يقول الماغوط في قصيدة /من العتبة إلى السماء/:

الآن والمطر الحزين
يغمر وجهي الحزين
أحلم بسلم من الغبار
من الظهور المحدودبة
والراحات المضغوطة على الركب
لأصعد إلى أعالي السماء وأعرف
أين تذهب آهاتنا وصلواتنا؟
آه يا حبيبتي لا بد أن تكون
كل الآهات والصلوات
متجمعة في مكان ما
في السماء... كالغيوم
ولربما كانت كلماتي الآن
قرب كلمات المسيح
فلننتظر بكاء السماء يا حبيبتي..

إنه عرض ممتع مسبوك بحلقات قوية من الحزن المتمرد على ضحكات العالم...

التجربتان غنيتان بكل مدلولات الأدب ومضامينه، يطفحان بتجارب إنسانية كبيرة وصغيرة رويت بكل تفاصيلها من خلال أسلوب شعري متفرد ومميز عند الماغوط وأسلوب سردي قصصي عند تامر، وقد جعلاهما هذا الأسلوب خارج إطار أي تصنيف مدرسي محدد، إضافة إلى تميزها بالأسلوب والتعبير والجمالية في البوح بأشكاله، والحدة والعنف والحقيقة الصريحة التي غلفت مضامين إبداعهما، كان الحزن اللون الرئيسي في كل حرف من إبداعهما وكان اليأس والغربة الروحية توأماً حقيقيا لكل تفاصيل حياتهما.

هذا شاعر كبير ومبدع محمد الماغوط، الشعر لديه نبوءة اللغة وطفلها المفخخ بالذكاء وهو من امتلك إيقاعا خاصا به، بالفطرة تألق شعراً وكان شعره وظيفة أدائية في نطاق القول، متجاوزا في ذلك الوظيفة الموسيقية التقليدية.

أما زكريا تامر فهو صورة حية وناطقة مطبوعة أمامنا من شخوص رواياته ومضامين حياتهم ومفاعل فرحهم وحزنهم ، إنه تأريخ لكل مرحلة عشناها أو عاشها بكل صدق وأمانة، ومن مجموعته /سنضحك/ هدف إلى تحقيق المتعة والتسلية والإضحاك، ويستخدم تامر أسلوب التكرار للتأكيد، ويمزج الأسطوري بالواقعي مع ما هو فوق الواقع والشعور واللا شعور. وقد دخلت قيم العولمة والمجتمع الاستهلاكي إلى قصص الحصرم التي كشفت عن الاستلاب والتشيؤ من خلال سلوك شخصياتها، أما أبطال شخصياته في صهيل الجواد فكما أشرت سابقاً هو الحرمان والبؤس والاستلاب مما يجعلها تعيش زمنها في القاع الاجتماعي.

محمد الماغوط وزكريا تامر بطلان كبيران من أبطال هذا الزمن في فنون الأدب رحم الله الماغوط وأطال في عمر المبدع الروائي زكريا تامر.

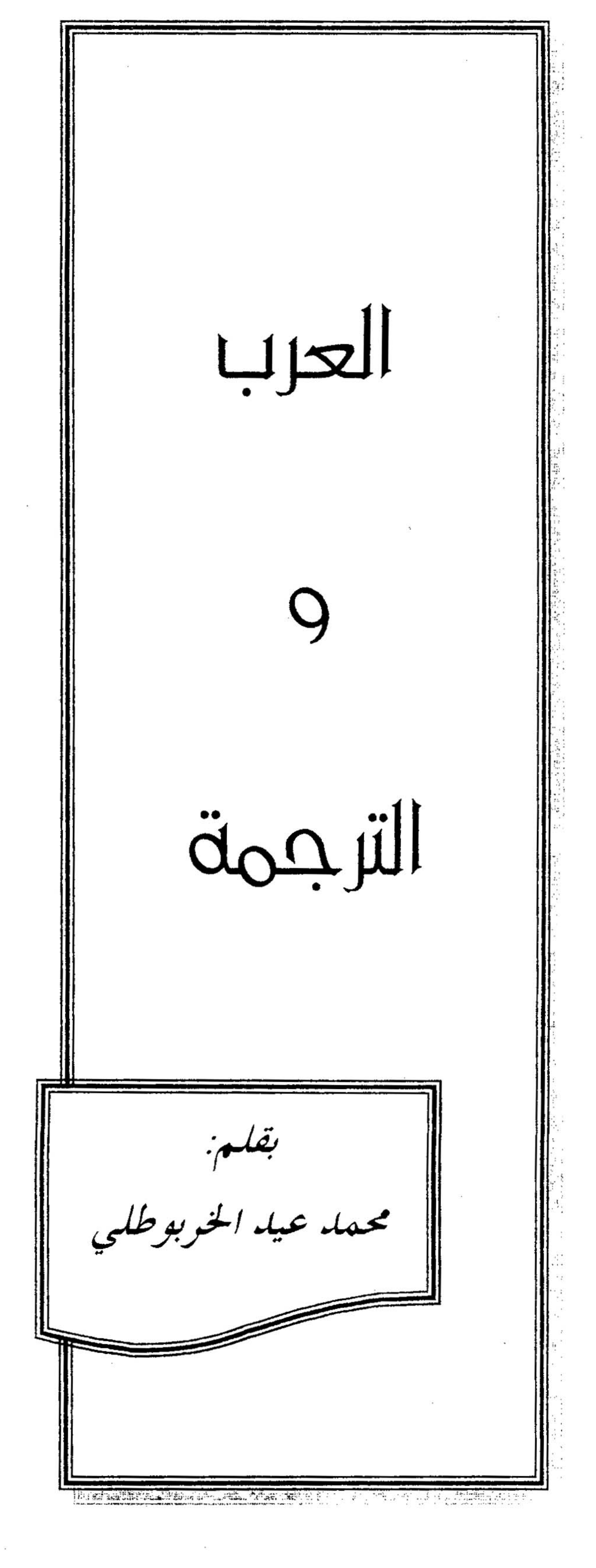



إلى رجل عصري..

شعر: قمر صبري الجاسم

تحبُّ أن تكونَ سيّدي وتدَّعي
بأنَّ، في فِكْرِ الهوى، مرْفوضَةٌ
ملامحُ السّيادهْ!
وقائدي..
وفي الهوى تقولُ: لا مَجالَ للقيادهْ
وحاكماً في سريرِ شهوتي
وكنتَ في كلِّ الخطاباتِ التي
أتقنتَها ضدَ الإبادهْ!
بأيِّ منطقٍ
تريدُ أنْ أموتَ في سبيلِ عشقِنا،
وتربطُ الإرهابَ بالشهادهْ؟
وأنْ تكونَ في مثابةِ الإلهِ لي
وفي الهوى تحرِّمُ العبادهْ؟
وأنْ أُبيحَ قُبلتي،
لِمَنْ يريدُ في قصائدي
وأنتَ تلْعنُ التي تجرَّأتْ
وتَكرهُ التي تمرَّدتْ
وتعشقُ التي تكونُ
مثلَ أمّةِ العربْ
مسلوبةَ الإرادهْ؟
لا لمْ تكنْ أنتَ "ابنَ زيدونٍ" لكي
أقابِلَ الهيامَ بالغرامِ لا..
ولا أنا "ولاّدة".



كان العرب في الجاهلية على اتصال بالأمم المجاورة، فوفود العرب على كسرى واتصال شعرائهم بملوك الحيرة وحكام الروم، كان له أثر كبير في اختلاط العرب بغيرهم، والتعرف على أحوالهم ولغاتهم، ولم تكن شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام بلاد بداوة وجهل على الشكل الذي يصوره بعضهم، بل كانت بعض المناطق على درجة عالية من المعرفة في مجال العمران والأدب والسياسة، وكانت تجارتهم إلى الشام واليمن أكبر عامل لانتقال المعارف إليهم، سواء في الحبشة أو الهند وبلاد فارس والروم.

وقد تعلم بعض من العرب اللغة الفارسية واليونانية، فالحارث بن كَلَدَة وابنه النَّضْر قد تعلما الطب في مدرسة جنديسابور الفارسية، ومنذ حروب الإسكندر المقدوني في الشرق (٣٣٣ - ٣٢٣ق.م) وفتوحاته انتشرت الثقافة الهيلينية (اليونانية المتأخرة) في سورية ومصر والعراق وفارس، ونشأت مدارس تعلم العلم والفلسفة، وكان أثرها أنها اهتمت بالترجمة كثيراً في نقل الثقافة إلى العرب.

مدارس الترجمة

١- مدرسة الإسكندرية: أسس الإسكندر المقدوني مدينة الإسكندرية، فقصدها الفلاسفة وعلماء الدين والطب والطبيعة، ولما جاء البطالسة أسسوا فيها المدارس، وأنشؤوا مكتبة ضخمة ضمت الأبحاث العلمية، كما تتلمذ فيها عدد كبير من المفكرين والفلاسفة مثل بطليموس وإقليدس وأرخميدس وأبولونيوس وغيرهم، ولأهمية هذه المدرسة صارت تنازع مكانة أثينا في الثقافة اليونانية، وعن طريقها تعرف العرب فيما بعد إلى فلسفة اليونان، ومما أخذوه عنها الفلسفة الإشراقية.

٢- مدرسة الرُّها: أسس الفرس الرها عام ٣٦٣م شمالي العراق، واستقدموا لها

الأساتذة من الإسكندرية، فكانت لغة التدريس فيها اليونانية، لكنها أغلقت في عام ٤٨٩م لأن معلميها كانوا نسطوريين في آرائهم، وكانوا قد ترجموا كتب أرسطو إلى اللغة السريانية فيها.

٣- مدرسة نصيبين: تأسست عام ٣٢٠م واستمرت مزدهرة حتى القرن السابع الميلادي، وكانت لغة التعليم فيها السريانية، وازدادت شهرتها بعدما انضم إليها علماء مدرسة الرها بعد إقفالها، امتزجت فيها تعاليم النساطرة بالفكر اليوناني، وعرفت بمعهدها الطبي الذي تمتع بشهرة واسعة، ولاقت الأفلاطونية المحدثة فيها رواجاً كبيراً بعدما وصلتها من مدرسة الإسكندرية، وبفضل هذه المدرسة انتشرت الثقافة اليونانية في بلاد فارس، وكان من أشهر مدرسيها أكبر شاعر سرياني (القديس أفرام).

٤- مدرسة جنديسابور: أسسها سابور الأول، ثم تحولت في أيام كسرى أنوشروان إلى مدرسة للطب والفلسفة، وكان التدريس فيها باللغة السريانية، ومن أهم أطبائها جورجيوس بن بختيشوع، وقد استمرت مزدهرة في عطائها إلى العصر العباسي.

٥- مدرسة قنسرين: على شاطئ الفرات تجاه جرابلس، ازدهرت في القرن السابع الميلادي، وتعد من أهم المراكز الثقافية لتدريس الثقافة اليونانية، وقد قام أعلامها بنقل قسم كبير من الآثار اليونانية إلى السريانية.

٦- مدرسة أنطاكية: التي تأسست في أواخر القرن الثالث الميلادي، وقد ازدهرت فيها الفلسفة الأفلاطونية، وكان أركانها من السريان اليعقوبيين الذين نقلوا هذه الثقافة إلى السريانية، وكانت مدرسة أنطاكية مشهورة بمكتبتها الكبيرة.

يتضح مما تقدم أن السريان قاموا بنقل الثقافة اليونانية إلى السريانية، وكانوا خير حفظة لها، فلما فتح العرب بلاد الفرس والروم تطلعوا إلى علوم الأمم الأخرى فاستعانوا بالسريان ليقوموا بدور النقل إما من اليونانية إلى العربية مباشرة، وإما من اليونانية إلى السريانية ومنها إلى العربية، وكان ذلك لما تمتع به السريان من ثقافة يونانية واسعة، وبفضل إتقانهم اللغات الثلاث (السريانية واليونانية والعربية).

وكان السريان يشتغلون بالفلسفة للدفاع عن عقيدتهم المسيحية في وجه الوثنية الهيلينية، ولإثبات مذهبهم الديني، لذلك اهتموا بالمنطق وعلوم ما وراء الطبيعة فترجموا كتب أرسطو وشروحها.

بواعث الترجمة عند العرب

إن البواعث على نقل العلوم والفلسفة إلى اللغة العربية كثيرة وأهمها:

١- تأسست الدولة العربية فنقلتهم من طور البداوة إلى طور الحضارة، لذلك صارت العلوم ضرورة ملحة لهم.

٢- احتك العرب بغيرهم فاطلعوا على ثقافات جديدة، فأحبوا أن يزدادوا بها ليطوروا آفاقهم الفكرية.

٣- كان العرب بحاجة إلى علوم مهمة وضرورية في حياتهم اليومية كالطب والفلك والحساب.

٤- حث القرآن الكريم على البحث العلمي وطلب العلم.

٥- حينما تزدهر البلاد سياسياً واقتصادياً تتجه النفوس إلى الحياة الفكرية، فالعلم من توابع الحضارة.

٦- تعددت الفرق وتباينت أفكارها، فصارت بحاجة إلى استخدام النظريات الفلسفية والمنطقية لإقناع خصومهم.

٧- رعاية ولاة الأمر للترجمة، فلم يعد العلم أداة للمعرفة فقط، بل صار بفضل تشجيع ومكافآت الخلفاء سبيلاً إلى الفن، مما دفع الناس على ارتياد مناهل العلم بوساطة

الترجمة، فقد ورد عن الخلفاء أنهم كانوا يدفعون للمترجم وزن الكتاب المنقول ذهباً، وقد أنشأ الخليفة المأمون بيت الحكمة وجمع فيه المترجمين، وصارت الترجمة للكتب الفلسفية جزءاً من سياسة الدولة.

مراحل الترجمة عند العرب

مرت الترجمة للعلوم في مرحلتين أساسيتين، مرحلة البداية في العصر الأموي، ومرحلة النضج والتوسع في العصر العباسي.

١- مرحلة البداية: تؤكد المصادر أن خالد بن يزيد الأموي اتجه نحو العلم بكليته، فدرس الكيمياء على راهب من الإسكندرية واسمه (مريانوس) كما درس الطب وكان شاعراً أديباً عالماً فلكياً، وأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان وطلب منهم ترجمة كتب الكيمياء إلى العربية، كما أمر عبد الملك بن مروان بتعريب دواوين الدولة، ونقل ماسرجون لعمر بن عبد العزيز كتاباً مجموعاً في الطب.

في هذه المرحلة لم تتدخل الدولة في الترجمة، إنما كانت مبادرات فردية، كما أنها اقتصرت على بعض الكتب ذات المنفعة المباشرة.

٢- مرحلة النضوج والإتساع: وهي المرحلة الذهبية للترجمة، التي كانت في العصر العباسي الأول، حيث فتح باب الترجمة على مصراعيه لنقل التراث العلمي من كتب الإغريق والرومان والفرس والهند إلى اللغة العربية، وكان الإقبال يتزايد على هذه العلوم، وفي عهد أبي جعفر المنصور ازدهرت الترجمة، حيث ترجمت كتب طبية وكتب في علم النجوم والسلوك، وقد عرف في هذا العصر المترجم عبد الله بن المقفع المتوفى سنة ١٤٢هـ، الذي ترجم عدة كتب في السلوك إلى اللغة العربية، كما ترجم كتاب كليلة ودمنة من الهندية والفارسية، وفي عهد المنصور صارت الترجمة في عهد الدولة، وسار على ذلك هارون الرشيد الذي اهتم بالترجمة بشكل شخصي وشجع عليها فزادت الكتب المترجمة، وعرف أنه أعطى المترجم خمسمئة دينار شهرياً راتباً له، وجاء المأمون الذي عرف عصره قمة العهد الذهبي للترجمة والنهضة العلمية العربية، والمأمون بذل جهوداً كبيرة للتنقيب عن الكتب المهمة، حيث أرسل البعثات إلى الهند والقسطنطينية وإلى غيرهما للبحث عن الكتب المهمة، كما أرسل رسلاً إلى جهات بعيدة بحثاً وراء كتاب سمع عنه أو وصلته أخباره، ولما انتصر على الروم سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م، علم أن اليونان كانوا قد جمعوا كتب الفلسفة من المكتبات وألقوا بها في سراديب الأديرة والقصور، فطلب من ملك الروم هذه الكتب عوض الغرامة التي كان قد فرضها عليه، فقبل ملك الروم (ثيوفيلوس) بذلك، وعد المأمون ذلك نصراً علماً عظيماً، فذهبت بعثة عربية إلى بلاد الروم لتنتقي الكتب الهامة ولتحملها إلى بغداد، عند ذلك أنشأ المأمون دار الحكمة ووقف عليها الأموال لتصرف على العاملين فيها، وأنفق الأموال بسخاء لترجمة كتب الفلسفة والعلوم من التراث اليوناني، وجاءه المترجمون من النساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والروم والبراهمة، وعين عليهم رئيساً يشرف عليهم، كما خصص يوما في الأسبوع ليشاركهم مناقشاتهم الفلسفية، واستمرت الترجمة بعد المأمون لكنها جاءت على استحياء وضعف.

طرق الترجمة

كانت تتم الترجمة بثلاث طرق:

١- الطريقة اللفظية: يترجم الناقل كل لفظة من الكلام بلفظة تقابلها في اللغة المنقول إليها، وهذه طريقة يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي، وكان لها عيوب كثيرة أهمها:

- أن عدداً كبيراً من الكلمات في كل لغة ليس لها مرادف في لغة أخرى.
- أن المجازات والتشابيه لا يمكن أن تنقل من لغة إلى لغة أخرى بالطريقة اللفظية.
- أن لكل لغة أسلوبها في ترتيب الألفاظ يختلف باختلاف اللغة.
- كان معظم أصحاب هذه الطريقة اللفظية لا يجيدون اللغة اليونانية، كما كانوا لا يتقنون اللغة العربية، فكان أحدهم ينقل الكتاب من اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية، ثم يأتي آخر فينقله من اللغة السريانية إلى اللغة العربية.

٢- الطريقة المعنوية: وهي أن يعتمد المترجم جملة، فيجمع معناها في ذهنه، ثم يعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تشبهها في المعنى، وهذه طريقة حنين بن إسحق وابنه إسحق.

٣- طريقة الترجمة بتصرف: التي تترك الحرية للمترجم في أن يضيف شيئاً من المعلومات، أو يحذف شيئاً آخر، ويظهر فيها عدم الدقة العلمية والأمانة، فقد جاءت مزيجاً من الترجمة والتأليف.

وقد ذكر الجاحظ في كتابه الحيوان الطريقة الحرفية والمعنوية، وأشار إلى دقة الترجمة وصعوبتها، وأكد أنها بمثابة تأويل للنص، حيث يقول: أنه لا بد للترجمان من أن يكون في الترجمة نفسها في وزن علمه في المعرفة نفسها، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواءً وغاية، ومتى تكلم بلسانين علمنا علماً أنه قد أدخل الضيم عليهما، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعترض عليه، وقال: "إن الشعر لا يُستطاع ترجمته"، وكلام الجاحظ هذا ينطوي على ملاحظة عميقة حول الترجمة عموماً، وترجمة الشعر خصوصاً، وهي محل جدل حتى هذه الأيام.

وقد شبه (جون درايدن) الترجمة في القرن الثالث عشر بالرقص على حبال بأرجل موثقة، وذلك كناية عن صعوبتها وتأرجح المترجم ضرورة بين إحدى اللغتين، وكأن داريون قرأ الجاحظ وأيده.

صفات المترجمين

للمترجمين صفات وعلامات عرفوا بها، فمن ذلك:

١- كان أكثر المترجمين من السريان، لأن اللغة السريانية كانت سائدة في بلاد الشام والعراق.

٢- كان أكثرهم أطباء، وينتمون إلى أسر معيّنة مثل آل حنين بن إسحق وآل ثابت بن قرة وآل بختيشوع وآل ماسرجويه.

٣- لم ينل بعضهم ثقة العلماء، فقد قال الأطباء في حنين بن إسحق: "ما لحنين والطب إنما هو ناقل للكتب لينال أجرتها"، وكان للحسد دور كبير في هذا النقد.

٤- بعض الكتب المترجمة لم تنسب إلى مؤلفيها إنما نسبت إلى مترجميها.

٥- كان السريان مجرد نقلة للعلوم فلم يبتكروا فيها أو يطوروها.

٦- عرف بعض المترجمين العرب عن الفارسية والهندية للعربية.

٧- غلب على معظم المترجمين لقب الفلاسفة.

نتائج الترجمة

كان لحركة الترجمة آثار إيجابية وسلبية في كثير من مجالات الحياة العلمية واللغوية والدينية والفلسفية والأدبية، وكذلك أثّرت في الإدارة والحكم وحفظ التراث القديم، وتفكير الناس، فقد عملت الترجمة على إذكاء روح البحث العلمي، فنشأ تيار عقلي علمي دعاهم

للتفكير في كل ما يحيط بهم، نتج عن ذلك آثار كبيرة متشعبة أدَّت إلى اطلاع العرب على ما احتاجوه من علوم كالرياضيات والطب والفلك، وساهمت في تطوير الثقافة الإنسانية، وقد ظهرت النتائج في:

الآثار الإيجابية

١- اللغة العربية: فقد اتسعت بالكثير من المصطلحات العلمية والتعابير الخاصة بالعلوم من طب وفلسفة وغير ذلك، وكانت هذه التعابير علمية بحتة، مما دل على قدرة اللغة العربية في مجاراتها للحركة العلمية، ومواكبتها للحركات الأدبية والدينية والإجتماعية، وكل ذلك كان بمرونتها وقدرتها على الإستيعاب، وذلك عن طريق الإشتقاق والنحت وتوليد الكلمات والتعريب.

٢- الأدب العربي: امتد تأثير الترجمات على الأدب العربي شعره ونثره في ناحيتين، مما كان قد زاد فيه من الفنون والخصائص والمعاني بالإطلاع على الحياة والفكر وفلسفة الحياة عند الأمم، وبدخول عدد من المدارك والتعابير الفلسفية والعلمية، ودقة في التعبير وسلاسة في النطق، فاتسع الخيال عند الأدباء، ووجدت صور جديدة في الشعر بعد أن كان الشعر العربي مادة للفخر والمدح والهجاء في معظمه، صار في العصر العباسي يتضمن كثيراً من الحكم الفلسفية والتفكير الفلسفي، فقد ظهر الشك عند المعري، كما ظهر الجدل والتفصيل والوصف لنواحي الحياة عند ابن الرومي، والغوص وراء المعاني الفلسفية عند أبي تمام، والزهد عند أبي العتاهية، والمنطق في خمريات أبو نواس.

كذلك لجأ الجاحظ في نثره إلى العلم والمنطق والجدل، كما فعل أبو حيان التوحيدي والخوارزمي والكندي.

٣- الدين: كان تأثير الترجمات في مجال العلوم الدينية كبيراً، مما دفع العلماء إلى التعمق في فهم الآيات القرآنية وتوضيح معانيها، كما تأثرت بعض الفرق الدينية بالفلسفة والمنطق كالمعتزلة وغيرهم، حيث اتجهت كل فرقة وراء آراء جديدة تدعم بها مذهبها وترد على خصومها.

٤- الفلسفة: كانت نتائج الترجمة كبيرة في مجال الفلسفة، حيث ظهر فلاسفة كبار اعتمدوا على ترجمات اليونان، وبحكم التطور ظهرت أبحاث وصلت قمة الفلسفة ووصلوا بها إلى دقائقها، فخرجوا بمؤلفات عديدة مهمة، مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون الذي وضع علم الإجتماع في مقدمته الشهيرة، والذي قال بفلسفة التاريخ.

٥- العلوم: اطلع العرب على علوم كانوا يجهلونها وهم بحاجة إليها كالرياضيات والطب والفلك، فصنفوا العلوم بعد ما كانت متشابكة، وخلصوها من الخرافة والأوهام، واتجهوا نحو التجربة، فعلم الجبر لم يصبح علماً خالصاً حتى أصبح علماً عربياً، وفصلوا علم المثلثات عن علم الفلك، وأصبحت الكيمياء علماً تجريبياً بفضل جابر بن حيان والرازي، وازدهرت الفيزياء خاصة البصريات على يد ابن الهيثم.

٦- ارتقاء الحضارة العربية: فقد استفادت من فنون المعرفة في الحياة العامة كالعمران وأسباب العيش والزراعة والصناعة والطب والتجارة والأسفار، وهم بذلك أدخلوا من ثقافات الأمم ومناحي تفكيرها الشيء الكثير.

الآثار السلبية

كما كانت للترجمة نتائج إيجابية كانت لها بعض النتائج السلبية، فالترجمة تحتاج إلى إتقان اللغة المنقول إليها وعنها، وإحاطة بالمادة العلمية المنقولة التي لم تصل إلى

العرب كما وضعها أصحابها، وكان ذلك لعدة أسباب أهمها:

١- بعض المترجمين لم يكونوا على جانب جيد من الدقة والأمانة العلمية، خصوصاً إذا كان بعضهم يترجم كتباً فيها آراء لا توافق مذهبه الديني.

٢- عجز بعض المترجمين عن الإحاطة بالموضوعات التي كانوا ينقلونها، فبعضهم كان يتولى ترجمة كتاب من غير اختصاصه.

٣- عجزهم في اللغات التي كانوا ينقلون منها وإليها، أو في بعضها، فكثير من الكتب ترجمت على مرحلتين، مما أدى إلى ضعف بعض المعاني.

٤- طمع المترجمين في التكسب بالترجمة دون تمحيص لما يقومون به، حتى أن بعضهم نقلوا فصلاً من كتاب وسموه كتاباً، أو يبدلون أشياء يسيرة في كتاب ترجم سابقاً، ثم يبيعونه على أنه ترجمة جديدة، أو ينسبون كتاباً إلى غير صاحبه طمعاً في شهرة عالم.

أشهر المترجمين في العصر العباسي

عرف كثير من المترجمين في العصر العباسي وغيره، وباعتبار العصر العباسي أنه كان قمة إزدهار عصر الترجمة، فمن المفيد أن نثبت أسماء بعض المترجمين، وقد ملئت كتب التاريخ والسير والتراجم والأعلام بذكرهم وذكر حياتهم، ومن هؤلاء:

١- عبد الله بن المقفع المتوفى سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م، كان ملماً باللغة العربية والفارسية، ترجم كتاب كليلة ودمنة، وكتباً يونانية لأرسطو وغيره، ولكن معظمها ضاع.

٢- إبراهيم بن حبيب الفزاري أبو إسحق المتوفى سنة ١٨٠هـ/ ٧٧٦م، أمره أبو جعفر المنصور بأن يستخرج من الترجمة الهندية للسندهند كتاباً تتخذه العرب أصلاً في حساب حركات النجوم، فعمل زيجا وهو (جدول حسابي يبين مواقع النجوم وحساب حركاتها) والفزاري عالم فلكي مشهور له عدة كتب، كما صنع إسطرلابا عرف بذات الحلق.

٣- يحيى بن البطريق المتوفى سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٥م، تولى في عهد المأمون ترجمة مقالات بطليموس وكتابي النفس والحيوان لأرسطو، وهو من أوائل من ترجموا في الطب.

٤- الحجاج بن مطر، كان أيام المأمون وترجم كتاب الأصول لإقليدس والمجسطي لبطليموس.

٥- يحيى بن عدي الذي ترجم عدة كتب لأفلاطون وأرسطو.

٦- جورجيوس بن بختيشوع رئيس بيمارستان جنديسابور، استقدم المنصور إلى بغداد لمعالجته فجعله طبيبه الخاص، ترجم عدة كتب من اليونانية إلى السريانية كما صنف الكتب الطبية.

٧- عبد المسيح بن ناعمة الحمصي المتوفى سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م، من ترجماته كتاب السماع الطبيعي لأرسطو والربوبية لأفلاطون.

٨- تيوفيل بن توما الرهاوي، كان في آخر القرن الثامن الميلادي، ترجم كتاباً في الطب لجالينوس.

٩- يوحنا بن ماسويه، هاجر في عهد الرشيد من جنديسابور إلى بغداد، فترجم معظم الكتب الطبية التي عثر عليها الرشيد بعد فتحه لبعض بلاد الروم، كما ترجم كتاب البرهان، ولاه المأمون رئاسة بيت الحكمة، فجمع فيه حذاق المترجمين.

١٠- حنين بن إسحق العبادي المتوفى سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٧م، ولد في الحيرة ثم انتقل إلى البصرة ومنها إلى بغداد، وفيها درس الطب على يوحنا بن ماسويه، أتقن السريانية واليونانية والفارسية، عينه المأمون رئيسا لبيت الحكمة، ومشرفاً على أعمال المترجمين، ويؤكد ابن النديم في الفهرست أنه كان ماهراً في صناعة الكحل، شرح معاني أبقراط في الطب كما لخص مؤلفات جالينوس، ويعد أشهر مترجم في عصره، لأنه أجاد الطريقة المعنوية فكان مؤسس مدرسة في الترجمة، كما كان جيد الأسلوب واضح العبارة، ألف عدة كتب على طريقة السؤال والجواب مثل كتاب العين والترياق والطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفاً والنبض والحميات وأوجاع المعدة، وله شرح الإسكندر الأفروديسي على كتاب الطبيعة لأرسطو وجوامع كلام أرسطو في الآثار العلوية، وكتاب الأصول لإقليدس في الهندسة وكتاب المناظر لإقليدس وهو في البصريات.

١١- اسحق بن حنين المتوفى سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠م، شابه أباه حنيناً في الدقة وصحة النقل، وكان أفصح منه بالعربية، لذلك صحح بعض ترجمات أبيه، كما كان مساعداً له في بيت الحكمة، اهتم بترجمة كتب الحكمة مثل كتب أرسطا طاليس وغيره من الحكماء، وقيل عنه إن ترجماته هي الدستور والقسطاس المستقيم، لأنها جاءت أوثق الترجمات وأدقها، ولهذا السبب اعتمد عليها ابن رشد في فهم أرسطو، ومن أهم ترجماته الأصول لإقليدس والأسطوانة والكرة لأرخميدس والأشكال الكروية لمنلاس.

١٢- قسطا بن لوقا البعلبكي المتوفى سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، أصله يوناني ولد في بعلبك، ودرس في بلاد الروم، ولما عاد إلى بغداد حمل معه تصانيف يونانية كثيرة، فترجمها إلى العربية، وفي آخر حياته ذهب إلى أرمينيا حيث توفي فيها، ويعد من المترجمين القلائل الذي كانوا يترجمون مباشرة إلى اللغة العربية، كما اشتهر بالطب والفلسفة، وبرع أيضاً في الرياضيات والفلك والموسيقى والمنطق، وكان يتقن عدة لغات منها اليونانية والسريانية والعربية، ومن ترجماته كتاب الروائح وعللها والأغذية والنبض ومعرفة الحميات، وكتاب علة موت الفجأة والمدخل إلى علم الهندسة والفرق بين الحيوان الناطق وغير الناطق، وكتاب الفرق بين النفس والروح والجزء الذي لا يتجزأ والمرايا المحرقة، وكتاب الإستدلال بالنظر إلى أصناف البول.

١٣- ثابت بن قرة من مترجمي القرن الثالث الهجري، من صابئي حران، عمل صيرفياً ثم رحل إلى بغداد لطلب العلم، فنبغ في الفلسفة والطب والرياضيات، اتصل بالخوارزمي، ولنبوغه عين في جماعة الفلكيين، ثم صار فلكياً خاصاً عند الخليفة المعتمد، وكان يتقن اللغة العربية والسريانية واليونانية، ومن ترجماته المدخل إلى علم العدد، مؤلفات إقليدس وأبقراط وجالينوس، والمجسطي في الفلك لبطليموس، كما ترجم كتب أرسطو في المنطق.

١٤- سنان بن ثابت بن قرة، برع في علم الهيئة والطب، أنشأ وترأس البيمارستانات المتنقلة، وكان يشرف على امتحان طلاب الطب بطلب من الخليفة المقتدر.

هذه لمحة سريعة حول نشأة الترجمة عند العرب والمسلمين، وأشهر المترجمين في بداية وقمة عصر الترجمة، الذي خدم الحضارة الإنسانية طويلاً.




لَنْ أبوحْ..

شعر: وداد طويل عبد النور

لا تسـلني عـنْ هـواكَ لـنْ أبـوحْ
في فمـي مـاءٌ.. وفي جفـني جـروح
قبـل أنْ ألقـاكَ لا أدري الجـوى
طعنـةً في القلـبِ تغـدو وتـروح

أجمـلُ الحـبِّ حبيـسٌ في الضـلوعْ
أجمـلُ البـوحِ شـفيفٌ في الـدُموعِ
في بحـورِ العـينِ مـوجٌ وهـوى
وعلـى الشـطآنِ صـمتٌ وخُشـوع

لـك أهفـو كُلّمـا طيـفٌ عَبَـرْ
أنـتَ أحلـى مـن شُـعاعاتِ قمـر
خبـأَ القلـبُ بمحـرابِ الهـوى
زفـرةً حـرّى وأشـياءَ أُخَـر

ذاكَ دمعـي فـوقَ خـدي والـورقْ
جَـفَّ مـن طـولِ التيـاعي واحـترقْ
كيـفَ يحيـا الـوردُ في قلـبِ الصقيعِ
كيـفَ يغفـو الجفـنُ في شـوكِ الأرقْ؟

قلمـي المجـروحُ خَـطَّ ألمـي..
حِـبرُهُ المسـفوحُ بعـضٌ مِـن دمـي
لا تسـلني: أذوى ذاكَ الهـوى؟
في يـدي قيـدٌ، وثـانٍ في فمـي

لـك أدعـو كـلَّ صُـبحٍ ومسـاءْ
ليظـلَ العمـرُ ينبـوعَ عطـاءْ
ودمـوعي كتبـتْ سـطرَ الرجـاءْ
ربَّ دمـعٍ، كـانَ جمـراً... لـيسَ مـاءْ




الجريء الثقافي

على قلق

كأن الريح تحتي

بقلم:
أحمد أنيس الحسون

هل هناك عمى نقدي يغفل عن عيوب النسق؟

هل سيطرت الأنساق الثقافية وتجذّرت في وعي أو لا وعي الذاكرة الجمعية؟

هل هناك حالة من التدجين والترويض الذوقي لدى مستهلكي الثقافة؟

وبالتالي هل يمكن للنقد الثقافي أن يكون بديلاً عن النقد الأدبي؟.

ربما تنطوي هذه الأسئلة عن أجوبتها من خلال مضمونها، ذلك أنها جاءت على أعتاب نظرية تبحث لنفسها عن الشرعية والتأصيل، بتقديم قراءة تأويلية للأنساق العربية التي تسربت عبر تراكمات - متوسلة بالجمالي والبلاغي - إلى الخطاب حيث استطاعت التخفي، ومما ساعدها على التخفي الضعف في كشف عيوب تلك الأنساق التي لم يستطع النقد الأدبي القبض عليها لاهتمامه بجماليات الخطاب وعجزه عن تعريته.

جاء من يقول إن النقد العربي يعيش على المنجز الغربي فدعا للتراث لتجديد الخطاب النقدي العربي مما جعل العملية النقدية تزداد عمى عن عيوب الخطاب فغدت محاولات التجديد الإبداعي رجعية بعدما كانت تدّعي تقدمية، ويمكننا إسقاط ذلك على الشعر. هكذا يبدأ الناقد عبد الله الغذّامي مشروعه النقدي (النقد الثقافي)، لقد طرح مشروعه مدركاً حجم الأصابع التي ستتوجه إليه، فقدّم المقولات التي تؤطر لمشروعه الوليد بمهارة نقدية مأولا المبررات لذلك، فالنقد الأدبي اعتنى بالجمالي ولا بد من نظرية للقبحيات مرادفة للنظرية الجمالية التي تعتبر إحدى حيل النسق الثقافي المتغلغل.

كان الاهتمام بالدراسات الثقافية منذ وقت مبكر خلال القرن الثامن عشر لكنّ المحاولة الجدية كانت مع مجموعة بيرمنجهام ١٩٦٤ م. وكانت مرحلة التسعينيات أثرى وأخصب في خضمّ السجالات النقدية (الحداثة - ما بعد الحداثة).

لقد أجمع المفكرون أن النهضة مرهونة بثورة على نسق القيم والمفاهيم . فهل ثقافتنا ماضوية؟!. جاء الغذامي ليعلن هذه الثورة على النسق (الثقافة الماضوية) بعدما أدرك الخلل الثقافي، فقال بموت النقد الأدبي/ الجمالي، وولادة النقد الثقافي الذي يعنى بفضح الأنساق والاهتمام بالمنسي والمنفي من مملكة الأدب، متسائلاً عن نبذ أعمال مثل (ألف ليلة وليلة) باعتبارها لا تليق إلا بالأطفال والنساء أي بكل ما هو ضعيف، وتقديس أعمال مثل كليلة ودمنة. وتلك هي من عيوب النسق الذي تعمل المؤسسة الثقافية على

تدجينه. لكن الغذامي - لتمرير مشروعه - لا ينكر علينا وقوفنا المطوّل عند جماليات النص الأدبي، إلا أنه هناك تعالقات نسقية (أنساق ثقافية) من روحية ودينية واجتماعية... تغلغلت في ثقافتنا وتجلت في شتى مناحي السلوك، فكانت هناك فكرة (الفحل) وفكرة (النسق الشعري) وراء ترسيخ أشياء غير إنسانية وغير ديموقراطية، فتشعرنت الذات العربية بما أن الشعر ديوان العرب ومنتهى ثقافتهم وأحد أهم مصادرهم الرئيسية، لذلك تخللته أنساق تقهر الآخر بعدما تشعرن الخطاب الثقافي العربي. لقد احتل الشاعر الذاكرة العربية مؤصلاً لسمات نسقية عملت على تعطيل الذوق الإنساني كالافتخار بالفحولة وغيرها، فأصبحت مثل هذه الأخيرة تعيد ذاتها بصيغ شعرية تستعيد معها النسق الأول.لقد تحول الشعر إلى وظيفة فردية فقلب سلّم القيم مما أدى إلى ما يسمى (بالفحل) الذي صار مع مرور الزمن مفهوماً ثقافياً اجتماعياً منذ عمرو بن كلثوم وصولاً إلى أدونيس ونزار قباني. تلك الأنساق أضمرت الداء، ولابد لهذه النقلة النوعية (النقد الثقافي) أن تنسف النسق المخاتل - ولو كانت مجرمة أمام جمهورية النسق- ووضع الأدوات المنهجية لكي لا يقع المشروع البديل بالعشوائية والغبن.لم تغب الدراسات الثقافية والسجالات النقدية الغربية عن مشروع الغذامي، وخصوصاً بعد تسرب العدوى الأنجلوسكسونية إلى تلك الدراسات، فتسربت تلك الأخيرة بدورها للغذامي فركّز على أطروحات: فنسنت ليتش وكلنر. فقد أعلن (كلنر) أننا في مرحلة المابين لا المابعد، لأن الدراسات الثقافية هي تطبيق بحثي للنظرية، معترضاً على الذين يجزمون بنقلة نوعية من الحداثة لما بعد الحداثة، لقد قدم (كلنر) نقده للوسائل الثقافية. وجاءت الدراسات الثقافية للاهتمام بالمنتج ما بين الجمهور من إمتاعي واستهلاكي ورغبوي مما يثير تفاعلات ينظر لها على أنها استجابة لبواعث نسقية (يمكننا أن نمثّل لذلك بمسلسل باب الحارة) هذه البواعث تبحث عن المتعة الحياتية الأجمل أو الزجّ في أتون الفعل اليومي، ويطرح (ليتش) مصطلح النقد الثقافي كرديف لمابعد الحداثة ومابعد البنيوية، وهذا التغيير سيطرح بدوره منهجاً تحليلياً دون القطيعة التامة مع منهج التحليل الأدبي النقدي، ويشيرإلى المؤسسة الثقافية والعلمية التي توجه الخطاب والذائقة والأنساق التي يتأصل فيها الذوق العام، ووقف ليتش في هذا النقد المؤسساتي على أعمال

نقدية بارزة كـ إدوارد سعيد وكتابه (الاستشراق) الذي يكشف العلاقة بين المجتمع والنصوصية والتاريخ، حيث تتجلى صورة الشرق في الغرب بربط خطاب الاستشراق بأبعاد أيديولوجية وسياسية متداخلة مع منطق القوة.

عني الغذامي بهذه الدراسات ووجّه ملاحظات صارمة تتهم الحداثة بالمركزية الثقافية، مما جعل العالم يدورٍ في قطب واحد، فقد أعطت الحداثة - مثلاً - قيماً مطلقة لمفاهيم مثل الليبرالية والعقلانية بحيث تجسدت هذه القيم كاملة كإجابات مطلقة على معضلات البشر الحياتية، وهذا ما حصر الحداثة في مجال ضيق يبعد المجال الفاعل للثقافات والشعوب الأخرى، ففي التعددية الثقافية تصبح الثقافة تكوينات متعددة منفلتة من سلطة المركز الراسخ. إن الخطاب البلاغي الرسمي (النسق، الفحل...) يفرز عمليات تصنيف، فيقدّس ويروّج لهذا وينبذ ذاك، فأصبح الناقد أحد حرّاس هذه المؤسسة، وما على الرعيّة إلا الانصياع لبلاغات النسق.

إن الدفع بالعملية النقدية من بعدها الأدبي إلى البعد الثقافي - كما يشير الغذامي - يحتاج إلى نقلة نوعية في الأداة وتحرير المصطلح عبر عمليات إجرائية على النحو التالي:

١- نقلة في المصطلح النقدي ذاته.
٢- نقلة في المفهوم (النسق).
٣- نقلة في الوظيفة.

وبذلك تصبح الأداة النقدية ثقافية بعدما كانت أداة أدبية. ويمشي الغذامي في نظريته كأن يضيف عنصراً سابعاً لوظيفة الاتصال كما قدمها (جاكبسون) فيأتي العنصر السابع الغذاميّ بـ الوظيفة النسقية، ويقدّم مرادفا (الغذامي) للمجاز بـ (المجاز الكلي) لأن توسيع المفهوم سيساعد على كشف الازدواج الدلالي(حقيقة - مجاز) الذي تلبّس الخطاب الثقافي. وهناك التورية الثقافية كرديف للتورية البلاغية، وهذه الثقافية سترّكز على بعدين: مضمر ولا شعوري، لأن التورية البلاغية ببعديها القريب والبعيد تعطي النتيجة الفورية للقارئ بأن المقصود هو المعنى البعيد، بذلك يصبح بعدا التورية الثقافية أكثر فاعلية من ذاك البعد الواعي في التورية البلاغية، والتورية الثقافية ستنظم الذوات الفاعلة والمنفعلة كأحد أهمّ أهداف المشروع (النقد الثقافي).

وتأتي الدلالة بتسمية جديدة تناسب المشروع القائم، فهناك الدلالة النسقية كما يريد لها الغذامي، فتكون الدلالة على النحو التالي:

١- دلالة صريحة (عملية توصيلية)
٢- دلالة ضمنية (عملية جمالية)
٣- دلالة نسقية (ذات بعد نقدي ثقافي).

فتأتي الجملة النحوية مقابلة للدلالة الصريحة، والجملة الأدبية تقابل الدلالة الضمنية، وبذلك فإنه لابد من جملة للدلالة النسقية فتاتي الجملة الثقافية. ويرى الغذّامي أن المؤلف هو مؤلفان: فالذبذبات المتسربة من ثقافة النسق المهيمن بوعي أو لا وعي تنتج مؤلفَين: الأول ذو خصوصية شخصية والآخر ذو كيان رمزي، فتأتي الثقافة هنا باعتبارها المؤلف المضمر المسيطر على الكاتب، فيعيد هذا الكاتب خطابها الأيديولوجي، فيصبح ذا تكوينين: شخصي وثقافي، وهذا الأخير - نظراً لمهارته في التخفي - سيعيد تشكيل الأول الذي لا يستطيع التحكم بإرادته بعدما تشرّب المخدّر

ببطء، وهذا ما مكّن المؤلّف الثاني من صياغة مضامينه عبر المؤلّف الأول الواقع في شرك مخفي.

إن النقد الثقافي كما يقرّ الغذامي يسعى إلى كشف حيل الثقافة في تمرير أنساقها متوسلة بالجمالي والبلاغي، وبالتالي سيفضحها النقد الثقافي باعتبارها أساساً للاستهلاك الثقافي الذي يحدد مدى جماهيرية نص ما واستمراريته، فالثقافة العربية نص كبير متنوع الوجوه ويجب معرفة قراءة هذا النص لكشف الأنساق المتجذّرة وخاصة (النسق الفحل) الذي انتقل إلى الشعر وبه إلى مختلف جوانب الحياة فصار لدينا الفحل الشعري والفحل الاجتماعي والفحل الثقافي والفحل الإعلامي والفحل السياسي وعبر تسلسل هذه الفحول يأتي الفحل الحداثي (أدونيس) الذي ثارَ ووقع من حيث ثار، فبعد التمرد على النسق وقع تحت جبروته بوعي أو لا وعي فأصّل بذلك للفحل الحداثي (الطاغي الأدبي). مما لاشك فيه أن الغذامي يسعى لزج النقد العربي في خضّم القرن الجديد، ويأتي النقد الثقافي كأحد أهم فروع النقد النصوصي العام، وبالتالي أحد حقول الألسنية واللغة. قدمت دراسة الغذامي أهمية معرفية تشجع ناقديه على الانخراط في ممارسة النقد الثقافي مما يبعث على الحوار والجدل لا السجال، لقد قدم المسوغات لمشروعه وأطّر دراسته بأدوات منهجَها بما يناسب النظرية الجديدة، مستعيناً بقيم كانت السبب الرئيسي لاختراع الفحل، ولنا نحن حقّ الخلاف معه لصيغ الأمثل، ولسنا مع بعض الباحثين الذين يرون أن النقد الثقافي عبارة عن افتتان العرب بمنهج غربي لم يثبت فاعليته في الغرب الذي أفرزه، وبعضهم يرى أن النقد الثقافي إحدى مظاهر العولمة ، ويبقى لنا أن نشير إلى أن هذا المشروع لو ثبت فشله في الغرب فليس من الضرورة أن يفشل في الشرق العربي، وإننا - كما نحسب - بحاجة لهذا النقد بعد استفحال القيم. لقد قدّم الغذامي مشروعه لتجاوز القراءة الجمالية والبلاغية إلى قراءة عبر نصوصية للكشف عن التحيزات الكامنة تحت تلك الجماليات، فقد وقع تحت جبروت النسق الثقافي فرأيناه يبدأ التحول منذ مؤلفاته الأخيرة (رحلة إلى جمهورية النظرية، مقاربات لقراءة وجه أمريكا الثقافي) ليولد مؤلّفه (النقد الثقافي) على خلفية سجالات حول المفهوم في الطرح. لقد جاء المشروع بنظريته وتطبيقه ليخترق الصمت والانزواء في التخصص والتعالي على الاجتماعي والثقافي، هذا الاختراق سيعيد للممارسة النقدية حيويتها وحضورها من خلال تلمّس العلاقة بين العالم والناقد والنص، ولو كنّا نختلف معه كلياً أو جزئياً إلا أنه قدّم للخطاب النقدي إبداعات أكاديمية في المفهوم والمصطلح وسواء أكنا نعتبر أنفسنا من نقّاد الأدب أو من نقّاد الثقافة؛ فإننا نحتاج لمثل هذه الخطوات لدفع العملية الحوارية معرفياً، وإنّ أيّ قارئ لتجربة الغذامي سيتساءل السؤال التالي:

هل هذا النسق أو تلك الأنساق الثقافية من الجبروت والقوة على التغلغل الواعي واللاوعي بحيث تجعل الناقد عبد الله الغذّامي - بوصفه أحد أعضاء الذاكرة الجمعية - يقع تحت ألعوبتها وتحايلها وشراكها بحيث لا يستطيع التحكم بوعيه كاملاً، وعدم الانفكاك منها مهما ادّعى ذلك؟؟.




(ويسألونك عن الحزن!)

شعر الدكتور: شادي صوان

غريبٌ
أعيشُ كمن غُصَّ فيه الإلهْ
وضاقت به كلُّ زاويةٍ من تخومِ الحياة
بعيدٌ عن الناسِ
لا تحتويني الربوعُ البليدة
ولا كلُّ هذا الزمانِ المُقنَّعِ
بالشاهقاتِ المريضة
وأرفضُ حتى انتمائي
لزهرٍ جميلٍ
يُصنَّعُ دونَ ابتهالِ الحديقةْ
ودونَ اعتبارٍ لشوكٍ
يُطرِّزُ خصر الجذوع الرقيقة
فيا أيها الوافدونَ إليَّ
من الصمتِ حتى أقاصي الكلامْ
منَ الحُلمِ حتى الدموعِ الطويلةِ للأخيلة
أقلّوا عليَّ الملامْ
أقلّوا عليَّ سهام التمني
فإني شريدٌ
بقلبي استطالاتُ هذا المكان الرديءْ
ووجهي تبثَّرَ من قسوةِ الأسئلة
فيا أيها الوافدونْ
أنيخوا جمالَ التكبُّرِ
إني حزينْ
وحولي ملايينُ







من عاصفاتِ الغيومِ تغني
تغني وتشكو الإلهَ
أيا ربُّ كيفَ أجوعُ
أنا الخصبُ والبعلُ ينمو بظلّي
ومن راحتي
تغلُّ المحاصيلُ والعاطراتُ تجلّي
أيا ربُّ كيفَ أموتُ بغلّي
فيا أيها الوافدونَ إليَّ
لماذا تعدّون قهوتكمْ باردةْ؟
وتشرونَ أفراحكمْ بالتسلي
وفي عُمقِ جرحِ الحكايةِ
تذرونَ ملحَ التجنّي
لِمَ الحزنُ
يا أيها الوافدونَ من البردِ!؟
هاتوا كماناً ونايا يُعرّشُ فيه الأنينْ
وأصغوا لما سوفَ ينهالُ منها عليكمْ
ستنأى برودتكمْ عن هواكمْ
وتلتحفونَ الفضاءْ
وتنضونَ أثوابِ زيفٍ
تشرّبها عمركمْ
في عقودِ الرياء
فيا أيها الوافدونَ إليَّ
أريحوا جماجمكم من سؤالٍ
تسربّل بالتمتماتِ الغباءْ
لِمَ الحزنُ!؟
هاتوا أناملكمْ وضعوها
ثقوبُ المساميرِ واضحةُ والدماءْ.




محمود الوراق

شاعر الحكمة

الزهد والموعظة

بقلم:
سفانة حكمت هلال

هو محمود بن الحسن البغدادي، وهو من الموالي، وكان مولى لبني زُهرة، عُرف بلقبين هما: الورّاق ومعناها (الناسخ) والنخّاس ومعناها (بائع الرقيق) فقد اشتغل في أول حياته بالنخاسة، ثم انصرف إلى الشعر وبرع فيه.

لم تحدد المصادر سنة ولادته، أو سنة وفاته، لكننا تمكنا من تقديرها اعتماداً على الروايات وبعض أبياته بحوالي (١٥٠ - ٢٣٢هـ)

كان محمود الوراق شاعراً مشهوراً مجيداً، من شعراء العصر العباسي الأول وهو شاعر فاضل مكثر، عاصر فحول الشعراء في زمانه، أمثال: صالح بن عبد القدوس، وبشار بن برد، وأبي نواس، وأبي العتاهية، وأبي تمام ودعبل الخزاعي، والبحتري، وغيرهم وهم كثيرون، وكان هؤلاء الشعراء ممن وضعوا بصماتهم في الشعر العباسي، وارتقوا به إلى ذرى التطور والإبداع.

اتجه الوراق في شعره إلى الزهد، وأكثر منه، وكان ردَّة الفعل لتيارات المجون واللهو والزندقة التي انغمس فيها بعض شعراء عصره، وهو يدعو في شعره هذا إلى الزهد، وذمّ الدنيا، وعدم الاعتزاز بها، وأخذ الحذر منها، ومن يحرص على البقاء فيها يسع إلى الفناء، شأنه في ذلك شأن أبي العتاهية، وذلك في قوله:

يُحِبُّ الفتى طول البقاء وإنّهُ
على ثقةٍ أنَّ البقاءَ فَناءُ

وفي قوله أيضاً:

إذا ما ازددتُ في عمري صُعوداً
تَنَقّصَهُ التَزيُّدُ والصُّعودُ

كما اتجه الوراق في شعره إلى الحكمة، وأبياته تنضح بروائعها وبدائعها، وتدل على أن الشاعر تعمق بالثقافة الفلسفية، إلى جانب تجاربه في الحياة، مُرفداً ذلك بحّس مُرهف، ومعرفة دقيقة بطبائع الأمور، وتبدو الحكمة عنده في بعض الأحايين في ملاحظة الناس، وتحليل ظواهرهم، اعتماداً على ما انطبع عنهم في حسه ووجدانه، وذلك في قوله:

والناسُ صِنفان في زمانِكَ ذا
لو غيرَ هذينِ رمُتَ لم تَجِدِ
هذا بخيلٌ وعندهُ سعةٌ
وذا جوادٌ بغيرِ ذات يَدِ

أما ضروب المواعظ في شعر الوراق فهي كثيرة جداً، وهي تتنوع بين المواعظ الدينية والاجتماعية والعقلية، فمن شعره يقول واعظاً محذراً من الاغترار بزخرف الدنيا، والانغماس في ملذاتها:

هيَ الدُّنيا فلا يغرُركَ منها
محايلُ تَستَفزُّ ذوي العُقول
تُشيدُ وتَبتَني في كل يومٍ
وأنتَ على التجهُّز للرَّحيل

حارب الوراق في شعره الأمراض والعيوب الاجتماعية، حيث وقف شعره على ترصدها وكشفها للعيون، والسخرية منها، يهدف في ذلك إلى حربها والتخلص منها، وهو في ذلك مصلح اجتماعي، ذو فكر هادف يُحرِّض على نشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة، ويُروِّج للقيم الفاضلة، والأهداف النبيلة، التي فيها صلاح المجتمع، فيدعو الغني إلى التمتع بماله وهو حي، ولا خير في أن يدعه لورثته الذين سيتمتعون بماله، وينسونه في لحده، فيقول:

تَمتَّع بمالكَ قبلَ المَمَاتَ
وإلاّ فلا مالَ إن مُتَّا
شَقيتَ به ثمَّ خلَّفتَهُ
لغيركَ بُعداً وسُحقاً ومقتا
فجادوُا عليكَ بزُور البُكاء
وجُدتَ عليهم بما قد جمعتا

والوراق يذم المال، ولكنه لا ينسى أثره في المجتمع، ودوره في رفع الوضيع، وخفض الشريف، ولا سيما في عصر اختلت فيه القيم والموازين، وأصبح المال هو القيمة الكبرى التي ترفع وتضع، وتعز وتذل، إن الوراق

يصور هذا الخلل الاجتماعي تصويراً رائعاً، فيقول:

أرى دهرنا فيه عجائبُ جمَّةٌ
إذا استُعرضت بالعقل ضلَّ لها العقلُ
أرى كُلَّ ذي مال يسودُ بماله
وإن كانَ لا أصلٌ هُناكَ ولا فصلُ
وآخر منسوباً إلى الرأي خاملاً
وأحمق مخبولاً له الجاهُ والنُّبلُ

يتّسم شعر الوراق بالسهولة والبساطة من غير ركاكة وابتذال، وهو بعيد عن التعمق والتكلف، وهذا ما قرّبه إلى العامة، وأكسبه طوابع شعبية، سهّلت حفظه، ويسّرت تداوله وانتشاره بين الناس، فالوراق شاعر مطبوع يتدفق في القول، ويمتلك قريحة فياضة تمدُّه بما يريد، فينظم في ذلك من دون تكلُّف أو تصنُّع، غير أنه يحاول أحياناً أن يتفلسف ويتعمق في أفكاره، على أن هذه الطوابع الفكرية لم تذهب بماء الشعر، أو تتغلب على الطابع الوجداني المتأجج فيه، والفضل في ذلك يعود إلى صوره المبتكرة وعاطفته المتقدة التي تطفح في ثنايا أبياته وأشعاره، ونجاحه في توظيف صوره الفنية الطريفة في خدمة أفكاره، وهذه الصور - في أكثرها - صور بسيطة مبتكرة، اتسمت بالصدق والتأثير، وبلاغة التعبير.

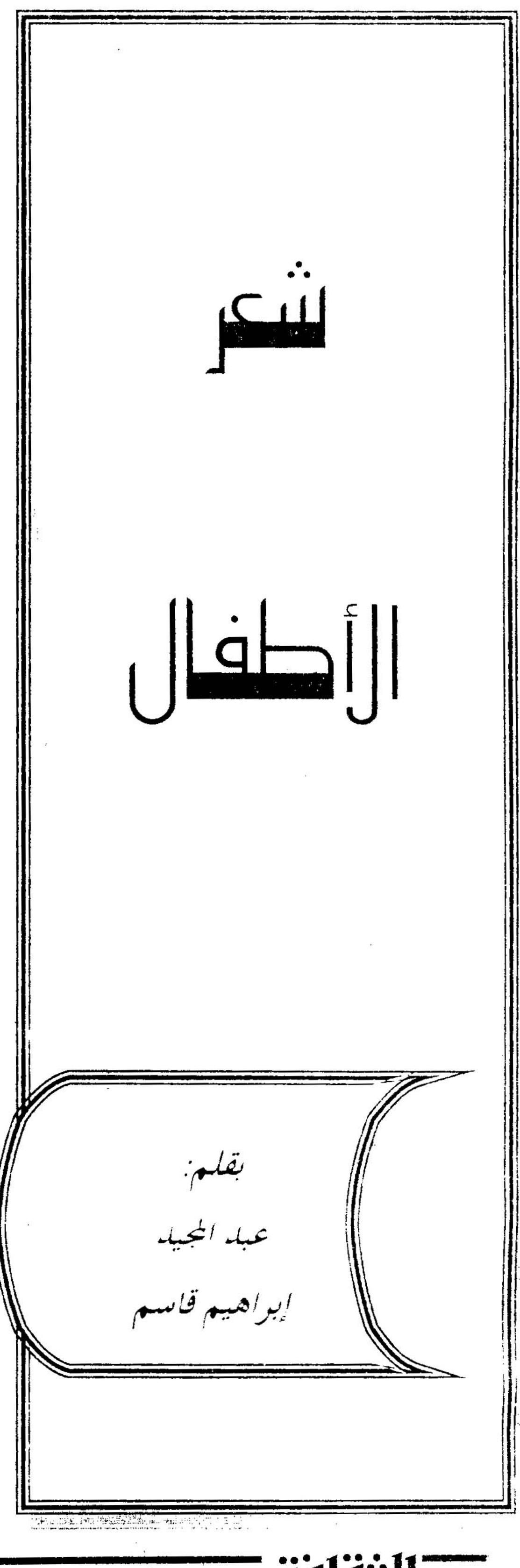
احتل شعر الوراق لدى القدماء مكانة مرموقة، فأشادوا بشاعريته وفصاحته. وأشاروا إلى براعته في نظم الأغراض التي تتعلق بالحكمة والزهد والموعظة، وكان أبو سعيد السيرافي (٣٦٨هـ) كثيراً ما ينشد مقطوعات محمود الوراق في الشيب، ويبكي عليها، وذلك إذ يقول:

اغتنم غفلة المنيَّة واعلم
إنَّما الشَّيبُ للمنيّة جسر

ذلكم هو الشاعر محمود الوراق، الذي عُرف بصدق الكلمة، وشرف المعنى، ونبل الغرض، وقد أدّى أمانة القول، وأحسّ بمسؤولية الفن، وأخذ نفسه بكل فضيلة وخير، فحارب الرذيلة والفساد، وكشف عيوب المجتمع، وندّد بمساوئه، ودعا إلى الزهد والقناعة، وذمّ المال ومن يجري وراءه، ويمنعه عن مستحقيه، أو ينفعه فيما لا يُجدي من ضروب اللهو والعبث والمجون.

وخلاصة القول: إن الوراق من الشعراء المجيدين في العصر العباسي الأول، جمع ما بين فضائله وأخلاقه الكريمة، تدفقاً في الشاعرية، وجودةً في النظم، وصدقاً في الهدف، وقد ألزم نفسه بما كان يقوله دائماً: "قل من الشعر ما يبقى لك ذكرُه، ويزول عنك إثمهُ".

فذهب الشاعر، وبقي شعره يعبر عن تلك، والنفس التقية، والحكمة المعبرة، والموعظة المؤثرة، وذلك الخلق القويم، والعقل الكبير



إن مرحلة الطفولة هي أهم مراحل النمو التي يمر بها الإنسان خلال امتداد رحلة حياته، وتمتاز بصفات جسدية وعقلية انفعالية خاصة، لا تتشابه مع أية مرحلة أخرى من مراحل النمو تلك، ولا يمكن لأيّ كان أن يغوص في بحر أسرارها إلا إذا سمح الطفل نفسه بذلك، وإذا كان الأدب جاداً في أن يطرق باب هذا عالم الطفولة الرحيب فلابدّ أن يلبي احتياجاتها المختلفة، وأن تكون المادة الأدبية منسجمة مع قدراتها من جهة وأن تعبّر عن مشاعر وأفكار الطفل بعيداً عن أجواء الخوف والإكراه من جهة أخرى.

والشعر تلك المملكة الممتدة في عالم يجتاز كل الفواصل والحدود، ويبلغ بالمشاعر الإنسانية حدودها القصوى والواحة المليئة بالسحر والعذوبة، والطافحة بالخيال والأحلام لهو خير وسيلة نستطيع من خلالها الولوج إلى أعماق الطفولة الغائرة، واكتشاف مكوناتها الدفينة. ذلك لأن الشعر يمتلك أدوات التأثير بمنظومة المبادئ ويتمتع بالإيحاء التعبيري ويمتاز بالمقدرة على استثارة مكامن الإحساس بقيم الجمال والمحبة، وهو بذلك يكاد يكون كالحصاة التي نلقيها في البحيرة الساكنة فتصنع دوائرَ لا نهاية لها، وكذلك الشعر يفعل بالنفس البشرية ويحرّك بحيرة العواطف الراكدة في الأعماق. وحسب تصنيفُ المختصين فإن شعر الأطفال ينقسم إلى ما يلي:

الشعر الإنشادي ويحوي "الشعر الغنائي والأناشيد" الذي يعدّ أقرب الشعر إلى نفوس الأطفال، والشعر القصصي والتمثيلي والخطابي الذي يضمّ بدوره الإلقائي والقرائي.

وإذا أردنا أن نتوجه بهذا اللون الإبداعي المتميز للأطفال، فلابد من تحقيق شروط تصبو إليها القصيدة الناجحة التي ترتقى إلى المستوى الذي يرضينا كآباء ومربين فترتضيها لفلذات أكبادنا.

فيجب في البداية أن تكون مكتوبة لذواتهم، مرتقية إلى مستوى أحاسيسهم، ملامسة للأغصان في شجيرة وجدانهم، ثم تأتي الفكرة التي تقوم عليها القصيدة وحركية التعبير التي تتخلّلها كأهم شرطين لتلك القصيدة:

فمن حيث الفكرة يجب عليها أن تتغنى بكل ما يحيط الطفل، وبمعظم ما تحتويه بيئته من مكوّنات، وأن تعبّر تعبيراً صادقاً عن المشاعر التي يحملها، فهناك العلاقة التي تربطه مع أسرته: (الأمومة - الأبوّة - علاقته مع إخوته - الزيارات والنزهات التي يقوم بها معهم) حيث يجد الدفء والحنان والمودّة والحميمية.

وهناك أيضاً علاقاته في المدرسة التي يقضي فيها معظم وقته (رفاقه - معلّميه - مواظبته على إتمام واجباته الدراسية - والرحلات التي يقوم بها في المدرسة) ثم علاقاته بالمجتمع الذي يحتضنه ، حيث الناس من حوله والقيم التي يحب أن يتعامل بها معهم، والبيئة التي تحيطه، وواجب الاهتمام بها وحمايتها، والتعرّف على فوائد عناصرها، وعلى الأسباب التي تؤدي إلى الإخلال بتوازنها، والشارع والعناية بنظافته وبجمال مظهره.

ولابدّ من معالجة جميع تلك العلاقات والمظاهر بما تكرّس القيم الإيجابية، وما تتلائم مع المضمون الإنساني، بما فيها من تقدير مشاعر الغير واحترام أفكار الآخرين، وما أكثر القيم والمبادئ التي يمكن تكريسها من خلال القصيدة كالنظافة والاجتهاد والاعتماد على الذات والصدق والأمانة، والإيثار وحبّ الحرية وتقبّل الرأي الآخر. أما حركيّة التعبير الطفولي فهي لا تقلّ أهمية عن الشرط السابق، حيث المقدرة على الإيحاء بواسطة الصورة الشعرية، التي تثير معظم أحاسيس الطفل، وتفتح أمامه أبواب الطبيعة بكل رحابتها، ثم أبواب الحياة بكل امتداداتها فترتع فيها الطفولة على هواها، ويمارس عليها الطفل طبيعته المشغولة بالبحث والاستكشاف، فتتسع مداركه وينمو خياله، وتزهر لديه ملكات الإبداع، فالحركيّة تثير الطفل لأنها تعني بالنسبة له اللعب، واللعب هو حياة الطفل، ومن أنواع الصور الشعرية التي تصنع الحركيّة في القصيدة: الصورة الحركيّة الهادئة التي تتدفق بعفوية وعذوبة إلى نفس الطفل، ويشعر في أجوائها بألفة وحميمية كأن نصورّ له مطر الخريف التي يقطر بدفء وحنو، وهناك أيضاً الصورة الحركية الصاخبة التي تعبّر عن غليان العواطف وهي تمنح الطفل الحيويّة والانطلاق، كأن نصورّ له مشهداً لبطل المادة الأدبية وهو يجتاز لحظات حماسية في رحلة تحدّيه عنصراً شريراً، أو مشهد من أجواء مباراة حماسية فينسجم معها بعواطفه المستشارة بكليتها. يقول الأستاذ محمد قرانيا: (قيمة الشعر لا تأتي من دقة الفكرة ، بل من الحركة الذاتية الداخلية التي تثير الحالة النفسية ، بطريقتها الخاصة في التصوير وتنويع الإيقاع ، وعفوية الموسيقى).

ويبقى أن نضيف أنه لابد لقصيدة الطفل أن تكون مصاغة على أوزان شعرية قصيرة وخفيفة، ومحبّبة للأطفال (قائمة على تنوّع القافية، حتى لا ترهق أنفاس الطفل، وتبعث على الحيويّة والحركة)، وتضيف رونقاً وجمالاً على القصيدة في شكلها العام، وأن تكون بعيدةً عن التكلّف والنظم والارتجالي، وعن قلق الوزن، وركاكة الصياغة.

وبتحقق هذه الشروط مجتمعة (الهدفية، الوضوح، إثارة الفكر والشعور، الحيوية والتشويق) نبلغ بقصيدة الطفل قمّة النجاح، ونحقق بها غايتنا المنشودة منها.

فينتشر عبيرها في عالم الطفولة المليء بالبراءة والمرح، وحب للخير والجمال، وتحلّق بروح الطفل في فضاء اللا حدود وتوصله إلى ذروة المتعة والفائدة معاً.